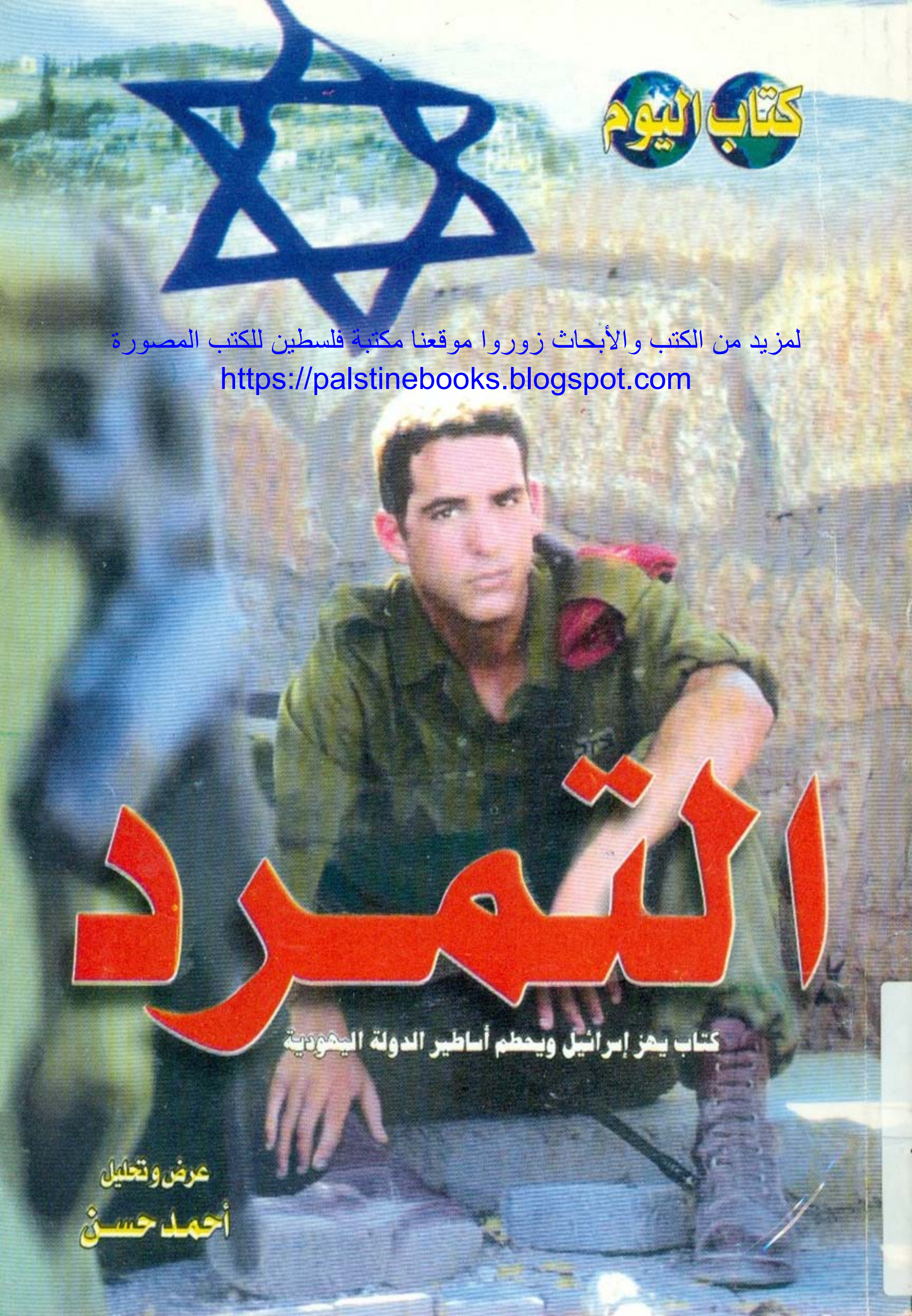

كتاب اليوم
التمرد
كتاب يهز إسرائيل ويحطم أساطير الدولة اليهودية
عرض وتحليل
أحمد حسن

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

كتاب اليوم
يصدر
أول كل شهر

□ عدد ٤٦٥ □

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده
رئيس التحرير :
نبيل أباظة

أسعار كتاب اليوم الثقافى فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٣٠	درهم
لبنان	٥٠٠٠	ليرة
الأردن	٢,٥٠٠	دينار
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٧٥٠	دينار
السعودية	١٥	ريالا
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢,٥	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٥٠	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٥٠٠	دينار
سلطنة عمان	١,٥٠٠	ريال
غزة	٣	دولار
ج. اليمنية	٣٠٠	ريالا
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٥	درهما
قطر	١٥	ريالا
انجلترا	٢	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
ألمانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٢٥٠	روبية
كندا ـ أمريكا	٢٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك ـ واشنطن	٢٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٦	دولار

● العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
● البريد الالكترونى
akhbar el yom@akhbarelyom. org

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٧٢ جنيها مصريا

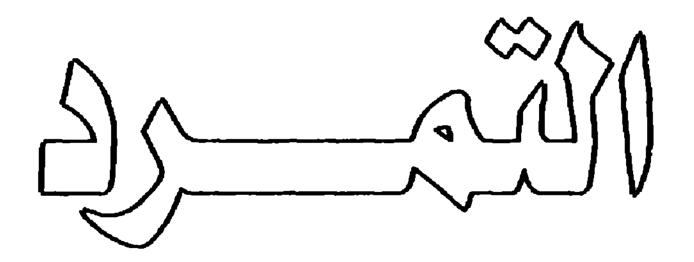
● البريد الجوي ●

دول اتحاد البريد العربى ٣٢ دولارا
اتحاد البريد الافريقى ٣٨ دولارا
أوربا وأمريكا ٤٣ دولارا
أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا
٥٣ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة
القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)
● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠
● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠
● تلكس محلى : ٢٨٢
● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة
● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠





كتاب يهز إسرائيل
ويحطم أساطير الدولة اليهودية

بقلم: رونيت شاشام

عرض وتحليل

أحمد حسن


الغلاف والتصميم الداخلي :
محمد سعد

المقدمة

على مدى أكثر من نصف قرن ردد الإسرائيليون أساطيرهم التاريخية التى أقاموا عليها دولتهم .. وحرصوا على أرضاعها قطرة قطرة لأبنائهم جيلا وراء جيل .. هذه الأساطير سواء كانت دينية أو سياسية .. قديمة أو حديثة تكاثرت وتوالدت وتحولت مع الوقت إلى شىء أشبه بالحقائق الثابتة التى لا تقبل الجدل .. ويأتى « جيش الدفاع » على رأس أساطير هذه الدولة التى جعلت منه قدس أقداسها وسر بقائها منذ إقامتها وحتى اليوم وغدا .

ولكن رغم كل هذه الهالة من التقديس التى يحيط بها الإسرائيليون جيشهم .. خرج مجموعة من الضباط عن الصف وأعلنوا التمرد وحطموا الأسطورة .. وفى لحظة صدق مع النفس والضمير كشف هؤلاء الضباط عن سلسلة من أبشع الجرائم التى يرتكبها جيش الدفاع والتى تفوق مافعلته جيوش أعتى النظم الدكتاتورية فى التاريخ !

وقف هؤلاء الضباط فى وجه الجميع من جنرالات وحاخامات وسياسيين مخضرمين وشكلوا جبهة الضباط الرافضين للخدمة فى الأراضى الفلسطينية ووقعوا وثيقة أحدثت زلزالا فى إسرائيل مازالت توابعه مستمرة حتى اليوم .. وما كادت توابع الزلزال تهدأ مع مرور الأيام حتى صدر كتاب بعنوان « التمرد » للكاتبة

اليهودية رونيت شاشـام لينفجر بركان مدمر اكتسـحت حممه ما تبقى من أساطير جيش الدفاع بل والمجتمع الإسرائيلى ذاته .

هذا الكتاب وهو أحدث وأخطر كتـاب يصدر فى إسرائيل يضم شـهادات حـية لتـسـعة من ضـباط وجنـود جيش الدفـاع أعلنوا العصيان ورفـضوا الخدمة فى جيش الاحتلال .. لأسبـاب مختلفة أهمها أن ما يقوم به جـيش الاحتلال فى الأراضـى الفلسطينية هو تجـسيـد حى لأبشع أنواع العنصـرية والإرهاب وجرائم الحـرب بالتواطؤ مـع النظام السياسى والهـيئـة الدينية والنظام التـعليمى وجميع أجهزة الدولة .

وإذا كانت إسـرائيل تضع سيف مـعاداة السـاميـة على رقاب الجميع فى أى مكان فى الـعالم ، فإن هؤلاء الضباط هم سـاميون حتى النخاع ويهود أبناء يهود من دماء يهودية خالصة وجميعهم ينتـمون إلى الطبـقة الراقـية فـى المجتـمع الإسرائيلى مما يجـعل شهـاداتهم وثيقـة دامغة ودلـيل إدانة إلى كل مَنْ يهمـه الأمر فى جميع المنظمات والهيئات الدولية فى العالم .

تمهيــــد

في ٢٥ يناير ٢٠٠٢ ظهـر خطاب على مسـاحة ربع صـفحـة بصحيـفة « هاآرتس » الإسرائيلية اليومـية . في هذا الخطاب دعا ٥٢ ضابطـا وجنديا من ضبـاط وجنود الاحتـياط بجيـش الدفاع الإسرائيلي رفاق السلاح بالجيش للانضـمام إلى حركتهم ورفض الخدمـة في الأراضي الفلسطينيـة المحتلة وبالتـحديد في الضـفة الغـربيـة وقطاع غـزة . كـان رفض هؤلاء العـسكريين نابعـا من إدراكهم بأن إسرائيل انتهكت بشكل صارخ اتفاقات أوسلو الموقعة عام ١٩٩٣ التي كان من المفـترض إنها ستضع نهـاية للاحتلال . لقد انسـحبت إسرائيل جـزئيا من بعض المناطق المحـتلة .. وبينما كـان من المفـتـرض إزالة المسـتـوطنـات اليـهـودية في الأراضي الفلسطيـنية إلا أنـها تضـاعـفت واتسـعت . كـمـا صـدم الجنود والضبـاط بمدى القوة العسكرية المتـاحة لهم ضد سكان مـدنيين عزل يفرض عليهم عقاب جماعـي لانتفاضتهم في وجه الاحتلال . ولم يجد هؤلاء الضباط والجنود أمامهم سوى التمرد وعدم إطاعة الأوامر وإعلان موقفهم فـي وثيقة بعنوان « إعلان من العسكريين الإسـرائليين المقـاتلين بالاحـتيـاط .. برفض الخدمـة في الضفـة الغربية وقطاع غزة ».

وجاء فى الوثيقة ما نصه:

نحن ضباط وجنود الاحتياط بالوحدات المقاتلة بجيش الدفاع .. الذين تربوا على مبادىء الصهيونية والتضحية والعطاء لشعب إسرائيل ودولة إسرائيل .. الذين خدموا دوما على خطوط الجبهة .. والذين كانوا دوما أول مَنْ يلبى النداء وينفذ المهام .. سواء كانت بسيطة أو جسيمة .. من أجل حماية دولة إسرائيل ودعمها .

نحن .. ضباط وجنود الاحتياط بالوحدات المقاتلة الذين خدموا دولة إسرائيل لأسابيع طويلة كل عام على الرغم من التضحية الغالية بأرواحنا .. نؤدى خدمة الاحتياط فى أنحاء الأراضى المحتلة ونصدر الأوامر والتوجيهات التى لاعلاقة لها بأمن البلاد والتى لا هدف لها إلا إطالة أمد سيطرتنا على الشعب الفلسيطنى ..

نحن .. الذين رأينا بأم أعيننا الدماء والأشلاء والضحايا الذين يسقطون من الجانبين ..

نحن .. الذين نعتقد أن كل الأوامر الصادرة لنا فى الأراضى تدمر جميع القيم التى نشأنا عليها فى هذا البلد ..

نحن .. الذين ندرك الآن أن ثمن الاحتلال هو فقدان الصورة الإنسانية لجيش الدفاع وتخريب المجتمع الإسرائيلى بالكامل..

نحن .. الذين نعرف جيدا أن الأراضى (الفلسطينية) ليست إسرائيل وأن جميع المستوطنات سيتم إخلاؤها فى نهاية الأمر..

نعلن .. بناء على ما تقدم أننا لن نواصل خوض هذه الحرب .. حرب المستوطنات . لن نواصل القتال فيما وراء حدود عام ١٩٦٧

من أجل السيطرة على شعب كامل وطرده وتجويعه وامتهان كرامته .

نعلن بناء على ذلك أننا سنواصل الخدمة فى قوات جيش الدفاع الإسرائيلى فى أى مهمة تخص الدفاع عن إسرائيل . ونعلن أن مهام الاحتلال والقمع لاتخدم هذا الغرض ولن نشارك فيها أبدا .. »

وقد أطلقت هذه الحركة على نفسها بالعبرية اسم « أوميتز ليسارف » أى شجاعة الرفض .

وبالنسبة لهؤلاء الرافضين ، فإن إدانتهم لما يعتبرونه ممارسات بشعة من أعمال القمع ضد الشعب الفلسطينى تمثل احتجاجا على ممارسات الجيش اليومية التى يرتكبها جنوده وضباطه فى الأراضى المحتلة ، كما تمثل أيضا تحديا لشرعية الاحتلال . ويستهدف خطابهم إقناع اليهود الإسرائيليين بأن أعمال العنف غير المشروعة ضد الفلسطينيين تهدد جوهر وجود الدولة اليهودية وتقوض المبادىء اليهودية التى نشأوا وتربوا عليها .

هذه المبادىء الصهيونية التى يشير إليها الرافضون هى (فى رأيهم) الأسس الأخلاقية والثقافية والدينية والتاريخية التى تبرر وجود إسرائيل كدولة يهودية وتعزز المشاعر القومية اليهودية .

وتتضمن هذه الأسس حق العودة إلى ما يعتبرونه أرض الأجداد التوراتية وإقامة ملاذ آمن للشعب اليهودى . مثل هذه الأسس الصهيونية تمثل موضوعا مثيرا للجدل فى إسرائيل حاليا

حتى وصل الأمر بمجموعة من المفكرين الإسرائيليين إلى الحديث عن النزعة الاستعمارية الكامنة فى المشروع الصهيونى .

جذور الرفض

هناك سوابق عديدة لرفض الخدمة فى الجيش الإسرائيلى .. ففى عام ١٩٨٢ عندما قام الجيش الإسرائيلى بغزو لبنان واندفع نحو بيروت احتج مجموعة من الضباط وشكلوا حركة أطلقوا عليها بالعبرية اسم «ييش جفول» أى « هناك حد » .. بمعنى أن هناك حدا لإطاعة الأوامر عندما تكون الحدود المشروعة للبلد غير معرضة للخطر . وبينما كان هؤلاء الضباط مستعدين للحرب من أجل الدفاع عن إسرائيل ، فإنهم لم يكونوا مستعدين للمشاركة فى حرب غامضة يحتلون فيها أراضى لبنانية ويهاجمون المدنيين . ونتيجة لرفض الخدمة فى لبنان صدر قرار بإيداع ١٦٨ عسكريا إسرائيليا السجون .

لقد أحدثت حركة « ييش جفول » صدى فى المجتمع الإسرائيلى الذى كان يشهد احتجاجات متزايدة على حرب بدت غير ضرورية ومكلفة للغاية لإسرائيل . وأنفجر بركان الغضب المكتوم عندما لم يكتف ارييل شارون الذى كان وزيرا للدفاع آنذاك بإعطاء الأوامر باقتحام بيروت بل وساهم بشكل غير مباشر فى مذابح مخيمات صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين عام ١٩٨٢ التى راح ضحيتها نحو ٨٠٠ مدنى على أيدى ميليشيا مسيحية لبنانية متحالفة مع إسرائيل أثناء احتلال بيروت . ويعتقد

غالبيـة الإسرائيليين إن مغامرة شـارون فى لبنان كلفت إسرائيل أرواح مئات الجنود.

وظلت حركة « بيش جفول »نشـطة فى إسرائيل وعلا صوتها من جديد أثناء الانتـفاضة الفلسطينيـة الأولى من عام ١٩٨٧ إلى ١٩٩٣ حـيث تدهورت الأحـوال الاقـتـصـادية والإنسـانيـة فى الأراضـى المحتلـة وزادت وتيرة بناء المسـتوطنات وتوسيـع القائم منهـا . وتدخلت قوات جـيش الدفاع بـإخمـاد المظاهرات السلميـة وقمع راشقى الحجارة بشكل وحـشى ، وفى ظل المذابح الوحشية رفض مـجـمـوعـة من الضـبـاط والجنود الخـدمـة فى الأراضـى الفلسطينيـة المحـتلة وأودع نحو ٢٠٠ ضـابط وجندى إسـرائيلى السجن . كـانت رسالة الرافضين واضـحة وهى أنهم مستـعدون للدفاع عن إسرائيل ولكنهم غـير مستعدين لإطاعـة الأوامر عندما يتعلق الأمر بقمع المدنيين واحتـلال أرض يعتقدون أنها تقع خارج حدود إسرائيل .

وبعـد تـوقـيع اتفــاقـات أوسلو عـام ١٩٩٣ تـلاشت ظاهرة الرافضـين تقريبـا . وبالنسبـة لغالبـية الإسـرائليين كان تـوقيع اتفاقـات أوسلو يعنى انتهـاء احتلال الضـفة الغربيـة وقطاع غزة وإقامة الدولة الفلسطينية على الأراضى التـى كانت محتلة . وكان جمـيع الموقعيـن على وثيقة الرفض يعـتقـدون أن إسرائيل دخلت عملية السـلام مع الفلسطينيين بنية خالصة وأن اتفاقـا نهائيا مع الفلسطينيين يلوح فى الأفق .

ولكن الصورة اتضحت مع مرور الوقت وكـانت مختلفة تماما ؛

فقد ظلت معظم الأراضى الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلى ولم تنفذ أى حكومة إسرائيلية الاتفاقات الموقعة مع السلطة الفلسطينية . وبعد اغتيال اسحاق رابين رئيس الوزراء عام ١٩٩٥ انتهجت إسرائيل سياسة ثابتة بتوسيع المستوطنات وإقامة الطرق العرضية والالتفافية التى تقسم الأراضى الفلسطينية إلى كانتونات منعزلة . وفى فترة حكم باراك رئيسا للوزراء (من مايو ١٩٩٩ إلى فبراير) تمت مصادرة كثير من الأراضى الفلسطينية وإقامة عدد من المستوطنات يفوق ما تم بناؤه فى أى حكومة سابقة . وزادت عمليات الحصار وإغلاق الأراضى الفلسطينية ومنع الفلسطينيين من دخول إسرائيل للعمل أو حتى التنقل داخل الأراضى المحتلة .

وفى يوليو ٢٠٠٠ رفض الفلسطينيون ما وصفته الولايات المتحدة وأوروبا بعرض باراك « السخى» فى قمة كامب ديفد ، وفى سبتمبر من نفس العام زار شارون ساحة الحرم القدسى لتنفجر الانتفاضة الثانية فى وجه الاحتلال الإسرائيلى ، وفى أول يوم من الاحتجاجات بعد الزيارة قتلت الشرطة الإسرائيلية تسعة فلسطينيين خارج المسجد الأقصى لتكتسب الانتفاضة اسمها وتعرف بانتفاضة الأقصى . وفى انتفاضة مماثلة لعرب إسرائيل تعاطفا مع أشقائهم الفلسطينيين قتلت الشرطة الإسرائيلية ١٣ مواطنا فلسطينيا من عرب إسرائيل ، وردا على استخدام إسرائيل القوة المسلحة ضد المدنيين بدأ الفلسطينيون إطلاق النار على الجنود الإسرائيليين والمستوطنين اليهود .. ولكن حتى هذه

اللحظة لم تظهر العمليات الانتحارية كسلاح فى الصراع الفلسطينى الإسرائيلى ، ومع استمرار الانتفاضة صعدت إسرائيل ممارساتها الوحشية وبدأت فى استعمال سلاح التصفيات الجسدية لقادة الانتفاضة .. ووسط حمام الدم هذا انتخب شارون رئيسا للوزراء عام ٢٠٠١ خلفا لباراك .. وإزاء عمليات القتل المستمرة ضد المدنيين الفلسطينيين وصل الصراع إلى ذروته ببدء موجات المفجرين الانتحاريين التى روعت المجتمع الإسرائيلى وأصبح الخوف يطبق على رقاب المجتمع والموت يخيم على كل شارع ومنزل فى إسرائيل .

وهنا عادت حركة « بيش جفول » للظهور من جديد ولكن هذه المرة فى صورة خطاب لحركة الضباط الرافضين للخدمة فى الأراضى المحتلة على أمل أن يكون خطابهم جرس إنذار أو صيحة لإيقاظ الضمائر من رقادها للإسراع بوقف نزيف الدم .

هؤلاء الرافضون لاينتمون إلى أى حركة أو منظمة من الحركات والمنظمات الراديكالية فى المجتمع الإسرائيلى .. بل هم مجموعة من العسكريين الذين جمع بينهم قرار الرفض وتحدى اعتقاد راسخ لدى غالبية الإسرائيليين وهو أن على إسرائيل أن تدافع عن نفسها بهذه الطريقة ضد الفلسطينيين والعرب الراغبين فى التخلص من الوجود الصهيونى فى الشرق الأوسط .

وتتلخص رسالتهم فى أن الاحتلال عمل غير مشروع وأن الممارسات التى يقومون بها من إذلال وامتهان لكرامة الناس لايتسق مع معاييرهم الأخلاقية والإنسانية .. وهى المعايير التى

يراها الرافضون تمثل جوهر الديانة اليهودية . ويصر الرافضون على أنهم خدموا فى الأراضى المحتلة فى السابق على اعتقاد أن إسرائيل تعمل جاهدة على إنهاء احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة ولكن مع انفجار الانتفاضة الثانية شعروا بأنه لاخيار آخر أمامهم سوى الرفض .

المشروع الصهيوني

لقد جاء الرفض من جانب أعضاء يحظون باحترام فى الجيش الذى يمثل النسيج الحى للدولة اليهودية .. ولكن رد الفعل من جانب الشارع الإسرائيلى كان ينطوى على تناقض ظاهرى .. فقد أحدثت وثيقة الرفض ضجة هائلة فى إسرائيل . وقد يعود ذلك إلى إنها فجرت قضايا بالغة الحساسية ربما للمرة الأولى منذ إقامة دولة إسرائيل مثل المبادىء المتناقضة فى المشروع الصهيونى .

وهناك أيضا نقطة بالغة الأهمية تخص العلاقة بين المواطن الإسرائيلى والجيش . فالقاعدة التى تحكم هذه العلاقة تقول لكى تكون مواطنا إسرائيليا لابد أن تكون جنديا فى الجيش .. وهو ما يعنى أن المواطنة لاتكتمل إلا بالخدمة فى جيش الدفاع وهو بذلك الرابطة التى تربط المواطن بالدولة ، وإذا كان اليهود فى إسرائيل هم من المهاجرين من شتى بقاع الأرض ، فإن الجيش هو الذى يوحدهم فى بوتقة واحدة تذوب فيها جميع الخلافات العرقية والدينية ، مهما كانت هذه الخلافات ظاهرة فى المجتمع الإسرائيلى بين اليهود الشرقيين (السفارديم) والغربيين (الاشكيناز)

وبين المتدينين (الحريديم) وغير المتدينين .. الأمر الذى يظهر مدى خطورة الخطوة التى أقدم عليها الضباط الرافضون فى هذا المجتمع .. وربما لهذا السبب حرص هؤلاء الرافضون على توضيح أن رفضهم ليس انشقاقا عن الجيش وأنهم مستعدون لأداء أى مهمة يكلفون بها ما عدا الخدمة فى الأراضى المحتلة . إنهم يصرون على التمييز بين الدفاع عن إسرائيل داخل حدود ١٩٤٨ واستمرار احتلالها غير المشروع للأراضى الفلسطينية بعد حرب عام ١٩٦٧ .

ومعظم الرافضين يعيشون فى تل أبيب أو القدس وجميعهم ينتمون إلى أسر من الطبقة المتوسطة والراقية وتتراوح أعمارهم بين ٣٠ و ٤٠ عاما ويتميزون بحسن المظهر ولباقة الحديث والثقة بالنفس . كما أن جميعهم حاصلون على درجات جامعية وبعضهم يشغل وظائف مرموقة فمنهم المحامى ومنهم أستاذ الجامعة والمخرج السينمائي .. أى أنهم يمثلون صفوة المجتمع . ولما كان هؤلاء الرافضون جميعهم من اليهود الغربيين ، فإنهم ينتمون إلى الطبقة الراقية فى المجتمع الإسرائيلى التى تشكل النسيج الحى للحياة السياسية والثقافية فى الدولة اليهودية . وبمعنى آخر لم يشعر هؤلاء الرافضون بأى نوع من الغبن الاجتماعى أو التهميش ولذلك كانت صدمتهم كبيرة فى المجتمع الإسرائيلى عندما رفض رسالتهم .

لقد أحدثت رسالتهم فى بادىء الأمر ضجة هائلة غير مسبوقة فى إسرائيل وأصبح الرافضون ضيوفاً دائمين على وسائل

الإعلام الإسرائيلية ونشرت الصحف ملاحق كاملة عن حركة الرافضين وكانت النتيجة أن أصبحت قضية الاحتلال جزءاً من الجدل الجماهيرى بشكل لم يسبق له مثيل . وفى مواجهة هذه الحركة استخدم الجيش الإسرائيلى عدة أساليب لإخمادها فبدأ بوصف هؤلاء الرافضين بأنهم فئة جاحدة وإن ما قاموا به هو فعل شائن غير مقبول ثم أعلن أن حركة الرافضين هذه مجرد ظاهرة طارئة ليس لها أى تداعيات واضطر عدد من قادة الوحدات القتالية بالجيش لإصدار بيانات بأن الجرائم التى تحدث عنها الرافضون فى وحداتهم لم تحدث ، إلى أن انتهى الأمر بوصفهم خونة أو ضحايا الدعاية السامة فى أحسن الأحوال .

وتوالت السهام على صدر الرافضين حتى وصل الأمر إلى إصدار أحد الحاخامات فتوى بإهدار دمهم وقتلهم .. ولم يقتصر الأمر على الجماعات اليمينية والدينية المتطرفة بل شارك اليسار فى الحملة وأصدرت حركة ميريتس اليسارية بيانا نددت فيه بحركة الرافضين ، وقال المنتقدون إن شهادات هؤلاء الضباط تمثل سابقة خطيرة لا يمكن التهاون بشأنها .

وتجدر الإشارة إلى أن وثيقة الرفض وقعت بعد ١٥ شهراً من اندلاع الانتفاضة الثانية وقبل أشهر قليلة من إقدام الجيش الإسرائيلى على إعادة احتلال المدن الفلسطينية التى تسلمتها السلطة الفلسطينية فى إطار اتفاقات أوسلو . ومن ثم، فإن الوثيقة جاءت قبل أن تشن إسرائيل حملة شاملة من التخريب والتدمير المتعمد للبنية الأساسية للمجتمع الفلسطينى بهدف تعزيز قبضة

الاحتـلال .. الأمر الذى يؤكد صحـة ما وصل إليه الرافـضون من قـرار بالتـمـرد على الأوامـر العـسكرية والتـوجـه إلى الشـعب الإسرائيلـى مباشـرة . لقد وصل الرافـضون إلى قناعـة تامة بأن إسرائيل لا يمكنها ببـساطة شطب القضية الفلـسطينية ودفنها فى غياهب النسيان . وإن عمليات القصف المستمر والإغلاق والتجويع والإذلال واسع النطاق لشـعب أعـزل لا يسـتـقـيم أبداً مع القـيم اليهـودية . وإن التسـوية السلميـة التى تقوم على مـجتـمع جديد لشعبيـن يعيشان فى سلام جنباً إلى جنب ، ممكنة وليـست مجرد حلم .

الفصل الأول



الضابط احتياط شاماى ليبوفيتز

- إسرائيل تنهار.. والديمقراطية أكذوبة كبرى ..
- أطالب بمحاكمة القضاة أمام المحكمة الجنائية الدولية ..
- الحاخامات يشوهون الكتاب المقدس ويدنسون اليهودية ..
- أى تسوية دون إنهاء الاحتلال هو اتفاق بين المغتصب والضحية ..
- إنهم يعذبون ثلاثة ملايين فلسطينى يوميا ثم يذهبون للصلاة !..
- النظام التعليمى فاسد والقضاة يخدمون فى مملكة الشر ..
- نظامنا الدكتاتورى ألقى بالدولة فى حمام دم لا ينتهى ..

شامـاى ليبوفـيتز (٣٢ عـاما) .. ضابط احـتياط يـعيش ببلدة جيفات شـمويل قرب تل أبيب .. يعمل محامـيا وخدم فى وحدات المدرعات .. يدعـو شاماى إلى الكفاح من أجل المسـاواة التى تقوم حسب رأيه على اليـهودية الحقـيقيـة . شارك شامـاى فى دعوى قضائية ضـد جيش الدفاع أمام المحكمة العليـا الإسرائيلية تطالب بوقف سيـاسة الاغتـيالات أو التصـفية الجـسدية التى يعتـمدها الجيش ضد رمـوز المقاومة الفلسطينية . وقـد تأجلت الدعوى عدة مرات لأن المحكمة ، كـما يقول شامـاى ، أرادت أن تشترى الوقت وتتـجنب إصدار قـرار يغضب الجـميع .. فـهى لاتستطيع تأيـيد عمليات التصفيـة ولا تستطيع تقويض أنشطة الحكومة وجنرالات الجـيش . ويبدو أن فـكر شامـاى لم يأت من فـراغ فهـو حـفيـد البروفيسور الراحل ييشع ياهو ليبوفيتز المفكر اليهودى الذى دعا إسرائيل للـتخلى عن سيطرتهـا على الأراضى الفلسطينيـة وإنهاء احتلال أراضى شعب آخر فور انتـهاء حرب ١٩٦٧ كما دعا ييشع جنود الجيش الإسرائيلى إلى عصـيان الأوامر ورفض الخدمة فى الأراضى المحتلة . وكان والد شـاماى أستاذا للرياضيات بجـامعة بن جـوريون فى بيـر سـبع بينمـا عـملت والدته أسـتـاذة للغـة الإنجليزية ومترجمة وكاتبة . فماذا يقول شاماى ..

● **القتل بدون أوامر :**

في يوم الالتحاق بالجيش عندمـا تدخل القاعدة لاتتلقى الأوامر بقتل الأطفال الصـغار . ولكن أثناء الخدمة تجـد نفسك تقوم بمثل هذه الأعمـال عادة ودون أوامر . فـعلى سبيل المثـال عندما تكلف بمهمة تفـتيش منزل أو ملاحقة مطلوبين .. يجـرى أمامك شـخص فتطلق عليه النار وتقتله .. وقـد تتوقف لحظات وتسأل نفسك: هل كنت أريد قتـل هذا الشخص .. لم أكن أريد ذلك .. لقـد حدث دون إرادتي " !!

غالبـية الجنود لا يفـهمـون إنك لا تستطيع الالتـزام بالأخلاق وأنت تخدم في الأراضي المحتلة . ليس هناك شيء اسمه "احتلال تنويري" .. إنه قـمـة التناقض اللفظـي .. لا يمكنك السـيطرة على شعب وتنكر عليهم حقوقهم بشكل تنويري . هل يمكنك ان تقصف قراهم ومدنهم بالطائرات والصواريخ ثم توزع عليهم الحلوى ؟! . هل يمكن أن تقول لهـم "نحن آسفون لقـد قصفنا قـريتكم وقتلنا خمسة أشخاص .. كنا نحاول قتل محمود عباس ولكنا قتلنا أم مع أطفالها الأربعة وهم نيـام بدلا منه .. ونأسف على هذا الخطأ غير المقصود.. ثم ينتهي كل شيء ؟!! إن مثل هذه الأمور تجرى يوميا.

● **اليهودية والأخلاق :**

وقد يسألني البعض عن مـدى تأثير جدى المفكر الديني الراحل على تفكيرى وقـرارى بالرفض .. وأقول .. ليس صـحيـحا القـول إن مـجرد نشـأتي في كنف جـدى كـان السـبب في تبني أفكاره وقناعـاته . فأنا اخـتلف معـه في أشيـاء كثـيرة . فـهو يقـول إنه لا علاقـة بين اليهـودية والأخلاق .. بمعنى أن الشـخص قد يكون

متـدينا ويمارس الطقوس الديـنية من صلاة وطعـام حلال ويظل يؤيد الاحـتـلال . ولكنى أرى خـلافـا لـذلك أن هناك عـلاقـة بين الاثنين؛ بمعنى أن اليـهودى المتدين حـقا لا يقمـع غير اليـهود ولا يمتهـن كرامتهم ولا يحـتجز أناسا بغـير محاكمـة . ومن ثم، فإن المعادلة الصـحيـحة هى " إذا كنت متـدينا حقـا يجب أن تعارض الاحـتـلال" . وهكذا، فإن مـقـاومـة الاحتـلال تبـدأ من الإيمـان باليـهودية الحـقيـقيـة وليست الـيهـودية المزيفة التى يروج لهـا مستوطنو جوش ايمونيم . فهولاء الـيهود الذين يعتبرون أنفسـهم فى قـمة التـدين (حـريديم) يسفكون الـدماء ويقـتلون بدم بارد ويمتـهنون كـرامـة البـشـر ويعـاملونهم بأبشع صـور الإذلال ويمنعـونهم من استـخـدام الطرق ويجبـرونهم على السـير عـدة كيلومترات سيرا على الأقدام ثم يذهبون للصلاة !!

فبعـد كل ما يفعلون .. ماذا تساوى صـلاتهم ؟ الشخص الذى يصوم ويكفر عن سيئاته فى يوم كيـبور (أقدس الأعياد اليهودية) ثم يتـسبب فـى أبشع صور المعـاناة لملايين البـشـر يرتكب خطأ قـاتلا. الأنبـياء يقـولون إن هؤلاء الذين يتـسـببون فى مـعـاناة الضعـفاء يهزأون بـاسم الرب وليس هناك خطيئـة أشد من إهانة اسم الرب .

هناك نص فى التلمود يقول "فى حالة حدوث تجديف واجتراء على المقدسات يجوز مخالفـة مواعظ الحاخامات" .. بمعنى آخر .. إن الإنسـان بوسـعـه أن ينتـقـدهم . ومع كل الاحـتـرام الواجب للحـاخامات إلا أنهـم يشجعـون على تدنيس المقـدسات وانتـهاك الحرمات . إننى أقول ذلك على المعتدلين منهم أيضا لأنهم ببساطة

لايدينون الاحتلال . إن غاية ما يقـولونه إنهم راغبون فى التوصل إلى حل وسط بشـــأن الأراضى عندمـا يأتى العـــرب "طائعـون صاغرون".

• سلام المغتصب والضحية :

إن الوصايا التى وضـعها أنبياء بنى إسـرائيل تقول "يجب ألا تنتظر حتى تحارب عـدوك لتهزمه إلى درجة الإذعـان .. فقبل كل شىء يجب أن تمنع عنه الظلـم .. يجب أن تخلق السلام من خـلال معاملة كل إنسان وكل أمة بـأعلى قدر من المساواة والاحترام. إنه التزام أســاسى .. بالطبع أنا أريد تسوية سلمـية .. ولكن لا يمكن أبدا أن يكون هناك سلام بين المحـتل والخاضع للاحتلال .. فـهذا الأمر يشـبه مَنْ يطلب اتفاق سلام بـين المغتصب والضحـية أثناء عمـلية الاغتـصاب !! لا بد أن ينـتهى الاحـتلال أولا لأنه جريـمة أخلاقية ثم يكون بإمكاننا بعد ذلك الحديث عن ترتيبات على المدى البعيد.

ولكن متى قررت رفض الخدمة ؟

أقول .. قبل عدة أيام عثرت على خطاب كتبته لقائد كتيبتى عام ١٩٩٣ .. أبلغته فيه أننى لا أستطيع تنفيذ المهمة التى كلفت بها فى غزة . وقلت إنى أرفض الاحتلال ومـا يستـتبـعه من قـمع . كان رفضى الخدمة فى غزة لايعنى رفضى الخدمة فى الجيش نهائيا . لقد طلبت منه نقلى من الكتـيبة كى أخدم فى أى مكان آخـر بعيدا عن الأراضى . وافق قـائد الكتيبـة ونقلت إلى الحدود المصـرية . ومنذ ذلك الحـين لم يطـلب منى الخـدمـة فى الأراضى المحـتلة . وما كـتبـته عام ١٩٩٣ يمكن كـتابتـه اليوم .. عندما تـقمع ثلاثة

ملايين إنسان وتنكر عليهم حقوقهم الأساسية لا بد أن ينفجر العنف . ولا شك أن العنف يولد مزيدا من الإرهاب والإرهاب يقود إلى مزيد من العنف .. وهكذا .

• عنصرية فاضحة :

لقد أدركت منذ سنوات عمرى الأولى إلى أى مدى يجرى التمييز ضد غير اليهود فى إسرائيل . فعندما كنت أدرس فى مدرسة بيشيفا في جوش اتزيون كان لدينا حمامات سباحة فى الوقت الذى كان فيه جيراننا الفلسطينيون محرومين ليس فقط من حمامات السباحة بل من مياه الشرب النقية والطرق .. بل ومحرومون من كل شىء . لا يبدو أن المستوطنين فى فيلاتهم الأنيقة يهتمون بهذا الأمر أبدا . عندما تعيش هكذا وتتجاهل تماما أحوال كل مَنْ حولك فلا يمكن أن تكون يهوديا حقا .

على مدى خمس سنوات كنت أسبح فى حمامات سباحة وأقود سيارتى على الطرق السريعة التى حرم الفلسطينيون من السير عليها حتى بالأقدام . كنت أمارس حقى فى الانتخاب والإدلاء بصوتى فى حين يعيش كل مَنْ حولى محرومين من سيادتهم وحقوقهم .

وقد يقول أحد كيف لنا أن نكسر نسق التفكير والأنماط السلوكية الراسخة فى المجتمع اليهودى .. وأقول إن التعليم هو الأساس .. لا بد أن يكون هناك تعليم حقيقى يعلى من قيم الحرية والاحترام والمساواة وحقوق الإنسان ومساعدة الفقراء والأيتام والأرامل سواء كانوا يهودا أو غير يهود .. نعم حتى غير اليهود .. وكما ورد فى التلمود « عندما يكون غريب معك فى أرضك يجب

ألا تخطئ في حقه .. يجب أن يكون هذا الغريب بالنسبة لك وكأنه صاحب الأرض معك .. وعليك أن تحبه كنفسك.. لأنكم كنت غرباء في أرض مصر » .

• تعليم متطرف :

ربما يقول البعض إني استخدم تعبير « غرباء » للإشارة إلى الفلسطينيين رغم أنهم أصحاب هذه الأرض .. وأقول إن هذا يعود إلى نمط التعليم الذي تربينا عليه .. لو كان الكتاب المدرسي عندنا علمنا أن الفلسطينيين ليسوا غرباء ولكنهم مواطنون ، فإن واقعنا كله كان قد تغير إلى حد كبير . لقد أصبح تعليمنا ذي نزعة قومية متطرفة خلال العشرين أو الثلاثين عاما الماضية .. إنه يعزز مشاعر الخوف من الإبادة ويركز على ضرورة إن ندافع عن أنفسنا بدولة قوية وجيش قوى .. النظام التعليمي في إسرائيل يغذى مشاعر الخوف المرضى من الجميع ويردد دائماً أن العالم كله يقف ضدنا . هذا النوع من التعليم يؤكد نمط العيش بالسيف على حساب قيمنا . عندما كنا في الشتات كان اليهود يشغلون أنفسهم بقضايا اجتماعية وأخلاقية وروحية مثل الأعمال الخيرية والاهتمام بالمرضى والمحتاجين والمسنين ودراسة التوراة. وما أن حصلنا على استقلالنا وأصبحت لنا دولة تجاهل تعليمنا هذه القضايا لصالح مشاعر القومية المتطرفة وربما أقول لصالح "تقديس" السلاح .

• تشويه الكتاب المقدس :

وهناك عدة أمثلة على استغلال التوراة في تعزيز المشاعر

القـوميـة .. من ذلك مـثلا أن المسـتوطـنين باسم الحق الإلهى فى الأرض يمـارسـون أبشع أنواع العنصـرية والتـطرف الفكرى من خلال تشويه النصوص الدينية . كما أن أحد قصص التوراة تقول إن أول مدينة عـبرية فى العـالم أقيمت كـعهد سـلام بين ابراهام وأبيمـالك بعد أن فـضل ابراهام التوصل لاتفـاق بدلا من أن ينكر على أبيمالك حقوقه .. ولكن على مدى سنوات قام النظام التعليمى بمحو هذه الفكرة تماما وبشكل متعمد من الكتب المدرسية.. كما أن الحاخامـات يبذلون كل ما بوسعهم حـتى لا يطلع الدارسون على هذا النص . إن مدرسـينا يمجـدون المشاعر القـومية فـيمـا يعمل حاخاماتنا على تشويه الكتاب المقدس ويعزلون بعض العبارات عن الشـجاعـة والحرب والاحـتلال عن سـيـاقهـا لتكرارها فى نسق مختلف .

لقد سـمعت كثيـرين يقولون لى لماذا تريد أن تقيم سـلاما مع هؤلاء العـرب ؟ إنهـم قـوم لايمكن الوثوق بهـم .. إنهم لايريدون سوى قتلنا .. لا يمكننا أن نتـخلى لهم عن سيناء .. أو لايمكننا ان نترك لهم جنوب لبنـان .. واليوم يقولون لا يمكننا الانسـحاب من مخيم بلاطة ورفح .. إنه نفس الدافع فى جـميع الأحوال .. "لأنهم يريدون قـتلنا" .. وهكذا ترى أن رجـال الدين عندنا ليـسوا فـقط دعاة حـرب بل ومجدفـين لا يترددون عن تشويه الكتـاب المقدس لتبرير تعاليمهم القومية المتطرفة .

● قضاة أسوأ من الحاخامات :

إن الأمر لا يقـتصـر على نظامنا التعليـمى فقط ، فـهناك أيضا النظام القـضائى .. فـقضـاتنا مذنبـون لأنهم يؤيدون الاحـتلال .

قضاة المحكمة العليا أسوأ من الحاخامات . على مدى ٣٥ عاما .. أضفت المحكمة الشرعية على عمليات الاغتيال والاعتقال الإدارى والطرد وهدم المنازل .. وغير ذلك من السياسات التى لايمكن أن تسمع بها فى دولة ديمقراطية . وكل ذلك باسم الأمن .. أى أمن هذا ؟!

لقد قال بنيامين فرانكلين "إن مَنْ يتخلون عن الحرية من أجل أن ينعموا بقليل من الأمن لايستحقون الحرية ولا الأمن ." لقد جرد القضاة دولتنا من الحرية ووضعوا مكانها ورقة التوت التى تمثل أمن الدولة . وكما قال بنيامين فرانكلين فإنهم ساهموا فى إحساس الشعب اليهودى بالخوف وانعدام الأمن . ومن أجل رغبتهم فى تبرير ما تقوم به الدولة من فظائع فإن أمننا وصل إلى أدنى مستوى له منذ إعلان قيام الدولة .

والسؤال : كيف يساهم هؤلاء القضاة فى تعميق الايديولوجيات القومية المتطرفة ؟ والجواب لأنهم لم يتلقوا أبدا تعليما قانونيا سليما . إذا كانوا قد تعلموا فإنهم سيصلون الى نتيجة مؤداها "عندما تأمر السلطات بهدم منازل واعتقال أناس دون محاكمة ، فإنها ليست وظيفة القضاة التصديق على ذلك" . فى النظم الديمقراطية القضاة لا يمثلون السلطات .. كل شخص له كامل الحقوق القانونية حتى لو كان من أعتى المجرمين والقتلة أو المتآمرين . وإذا لم يكن قضاتنا يفهمون ذلك فإنهم لايستحقون أن يجلسوا على مقاعد القضاة .

• مملكة الشر :

إننى أقارن بين قضاتنا وبين قضاة مملكة آخاب ملك الشر

والذين كان حكمهم دائما .. إنه عندما يتعلق الأمر بأمن الدولة فلا يكون هناك خيار آخر سوى انتهاك الحقوق . ويحضرنى هنا قصة المواطن نابوث الذى رفض إطاعة أوامر الملك آخاب فرأى القضاة ضرورة انتهاك حقوقه واتهامه بتكدير الأمن العام .. وقد كان وأعدم نابوث رجما بالحجارة . وبعد كل شيء فقد كان هناك شهود وممثل ادعاء ودفاع ولكن الحكم معروف "إنه خطر على الأمن" .. ولذلك كان من السهل إقناع الرأى العام بشرعية قتل نابوث . إن قصة نابوث تمثل صورة طبق الأصل لفساد نظامنا القضائى .. فنحن لدينا أيضا شهود وممثل ادعاء ومؤسسة لحقوق الإنسان تسمى "بيت سليم" وممثلو دفاع يمثلون الفلسطينيين .. ولكن كل هذا خداع لأن القضاة جزء من النظام يتعاونون مع المدعين لممارسة أبشع أنواع الظلم.

هذا التأييد الأعمى للنظام خطأ وخطر أيضا . لم تجد قاضيا واحدا وقف وقال "لن أفعل هذا" . إنهم مثل ماكينات المياه الغازية الميكانيكية .. تضع فيها العملة وتخرج لك ماتريد . إننى أريد من النائب العام وكل عناصر الجهاز القضائى عندنا أن يقرأوا جيدا حكاية محاكمة نابوث .. عليهم أن يخجلوا من أنفسهم أشد الخجل. إننى أتوقع منهم كيهود الكثير .. وبدلا من الدفاع عن نظام احتلال فاسد يتعين عليهم أن يصرخوا قائلين "لنتوقف عن أفعال الشر" . ولكن دعنى أقول إن هناك عددا قليلا جدا من القضاة كان لديهم الشجاعة لاتخاذ هذا الموقف وأذكر منهم على سبيل المثال شاييم كوهين .

• **اغتصاب النظام:**

ومع ذلك، فإن النظام له مصلحة فى الاحتلال وقضاتنا يرغبون فى إفساد النظام القضائى لحساب النظام الحاكم . غدا سيكون للنظام مصلحة فى التخلص من جميع اليساريين وسيجد القضاة السبل الكفيلة بإفساد العملية القضائية من أجل أن يفعل ذلك . اليوم النظام يغتال الفلسطينيين بدم بارد .. وبعد كل عملية "تصفية" يصدرون بيانا صحفيا يقول إن الرجل المستهدف كان "خطرا على الأمن" .. لا يسأل أحد أى سؤال عما يحدث .. والقضاة صامتون .. غدا سيبدأون فى القيام بنفس الشىء ضد اليهود وسيقولون ساعتها إن يورى افنيرى تعاون مع عرفات .. ولذلك قمنا بتصفيته" . وفى نهاية المطاف سيصلون إلىّ أنا .. قد يبدو ذلك محض خيال ولكن الحقيقة أقرب مما يعتقد الكثيرون . إن القضاة يغتصبون النظام القضائى لإسعاد النظام الحاكم فى إسرائيل .. والمبررات دائما جاهزة "لقد فعلنا ذلك حفاظا على الأمن العام .. والمصلحة العامة وأمن الدولة .. إلخ ."

• **جرائم حرب :**

كانت هناك شهادات ذات مصداقية عن جرائم حرب ارتكبت ولكن لم يستمع إليها أحد من قضاتنا. كيف تفسر رفض كافة الدعاوى التى رفعت أمام المحكمة العليا من مدعين يعارضون الاحتلال؟.

على جميع الضباط أن يدركوا أن عمليات التصفية هى قتل خارج نطاق القضاء . وكل جندى يخدم فى الأراضى المحتلة مشارك فى هذه الجرائم . وكل جندى يساعد الجيش هو شريك

أيضـا لأنه يعرف أن الجـيش ينفـذ هذه الاغتـيالات خـارج نطاق القضاء وهى جرائم حـرب بكل المقاييس . ومن ثم، فإن كل جندى يخدم فى الأراضى المحتلة مشارك فى جرائم حرب وله الحق على الدولة فى أن يرفض التورط فيها .

وهناك قـضـيـة أخـرى خطيـرة .. جيش الـدفاع يسـتـخـدم الفلسطينيين دروعـا بشرية . وهؤلاء الذين يرفضـون يقتلون فى الحـال وبدم بارد . والأمـر الأسـوأ من ذلك أن المحكمـة الـعليـا تتـساهل مع كل هذه الجـرائم . وهذا يفسـر لماذا أدعو إلى تقـديم القضاة الإسرائيليين للمحاكـمة أمام المحكمة الجنائية الدولية . لقد منع جـيش الدفاع سـيارات الإسعـاف من إخلاء الجـرحى وترك مئات الفلسطينيين ينزفون حتى الموت وتتحلل جثثهم فى المخيمات والمدن .. لقـد أطلق جيـش الدفاع النار على شـخص انتـهك حظر التجول وخرج لشراء رغيف خبـز بعد أن ظل محبوسا لأربعة أيام مع ٥٠ شخـصا آخـرين فى غرفة واحـدة .. هذه الجرائم مـوثقة وعليـها شـهود وهذا يـفسـر لماذا يمنع الجيـش الصحـفيـين من الدخول لرؤية ما يحدث فى المخيـمات والقرى والمدن الفلسطينية . لقد دفنوا المئات فى مقابر جماعـية بهذه المدن والمخيمات .. إنه أمر مروع !

• دعوة للعصيان :

إننى أدعـو طيـارى الأباتشى والإف١٦/ أن يرفـضوا تنـفيـذ الأوامر بقصف المدنيين فى الأراضى الفلسطينية وأن يطلبوا المثول

أمام محكمة عسكرية .. عندئذ سنطالب بتطبيق اتفاق جنيف الرابع الخاص بحماية المدنيين أثناء الحرب . إننى أدعو جميع الجنود إلى التوقف عن ارتكاب جرائم حرب والمطالبة بمحاكمة عسكرية عادلة. ادعوهم إلى ترك قواعدهم العسكرية والامتناع عن صيانة دباباتهم وطائراتهم ومدفعيتهم وكل أنواع الآلة الحربية التى تستخدم ضد المدنيين . أدعو جميع الجنود لفتح أبواب معسكرات الاعتقال التى يحتجز فيها آلاف الفلسطينيين عدة أشهر دون محاكمة . وفى الوقت نفسه أدعوهم إلى الدفاع عن دولة إسرائيل داخل حدودها التى حددها المجتمع الدولى بقرار التقسيم بعد حرب عام ١٩٤٨ . ولا شك أن القول إن مثل هذه الأعمال تعنى القضاء على الجيش والدولة اليهودية قول سخيف تماما .. إذ لم يذكر التاريخ حالة واحدة أنهار فيها مجتمع بسبب خروج فئة منه عن النص وإعلان رفضهم ارتكاب أفعال الشر . إذا أنهار مجتمع فإن ذلك يعود فى الأساس إلى أن هناك مَنْ يتستر على ما يجرى من شرور فيما يواصل آخرون ارتكاب أفعال مدمرة.

• إسرائيل تنهار :

إننى أدرك خطورة ما أقول فقد استيقظ غدا فأجد أمرا باعتقال كل زبائنى كمحامٍ لأنى أدعو للمقاومة والرفض .. ولكن أحد الوصايا الرئيسية فى الكتاب المقدس تقول "يتعين عليك ألا تخشى وجه إنسان إذا كان ذلك الأمر يتعلق بأمر الرب". إن إسرائيل ،كمجتمع ديمقراطى، تنهار أمام أعيننا فى وضح النهار .

نظامنا الدكتاتورى الحاكم ألقى بإسرائيل فى خضم حمام دم لابد أن يتوقف . إننى أخشى كثيرا على مصير إسرائيل . وهذا يفسر لماذا أضع هذا الأمر فوق أهدافى الخاصة . ذات مرة ذهبت إلى المعبد وبعد الصلاة تحدثت مع أحد الحاخامات عما يجرى من مطاردات للأطفال الفلسطينيين على مدى ٣٥ عاما واقتحام المنازل فجرا وترويع النائمين من المدنيين فى الأراضى، فوقف أحدهم وقال لى "أغرب عنا ولا نريد أن نرى وجهك هنا مرة أخرى "!

مثل هؤلاء اليهود لا يكرهون فقط الفلسطينيين لأنهم يريدون دولتهم بل ويكرهون اليهود اليساريين أيضا لأنهم لا يشاطرونهم معتقداتهم فى " إسرائيل الكبرى ". هؤلاء المتدينون هم السبب فى حمام الدم الذى تعيشه إسرائيل .

لا بد من ترسيم حدود إسرائيل على حدود ٦٧ وإخلاء المستوطنات وتعويض المستوطنين .. وفور ترسيم حدود الدولة إذا أراد مستوطن الهجرة من إسرائيل كى يعيش فى الدولة الفلسطينية يجب أن نسمح له بذلك . إنه حقه مثلما هو حقه الهجرة إلى الولايات المتحدة أو أى مكان آخر فى العالم . ولا بد من الاعتراف بحق العودة للفلسطينيين بل لا بد أن نطلب منهم الصفح عما أوقعناه ضدهم من ظلم فى عام ١٩٤٨ (النكبة) .. لقد تعودنا على الاضطهاد لدرجة أنستنا قوة الصفح .. الاعتذار مبدأ أساسى فى اليهودية . ومَنْ يصلى ليل نهار ولا يفهم ما فعلناه ضد مئات الآلاف من اللاجئين إنما يصلى مثل الروبوت وصلاته لا معنى لها .. وعليه أن يمارس اليوجا أفضل . المشكلة

الأساسية هو أن كثيرا جدا من اليهود فقدوا روح اليهودية ولا يستطيعون أن يقولون "آسف". علينا أن ندرك أن الاعتذار هو الخطوة الأولى نحو المصالحة . وقبل أن نتحدث عن النهوض بأى شيء فى بلادنا علينا أن نقاوم الاحتلال .. الاحتلال هو الذى دمر نظامنا القضائى ونظامنا التعليمى والأسوأ من هذا كله .. دمر عقيدتنا اليهودية .ولكن متى ينهار نظام الاحتلال .. لن يحدث هذا إلا عندما تقف الأغلبية الصامتة لتطالب الجيش برفض الخدمة فى الأراضى والتوقف عن قمع وإذلال الشعب الفلسطينى.. ساعتها يمكن إقامة مجتمع يهودى حقيقى قائم على العدل والحرية والتعاطف .

الفصل الثانى



الضابط عساف أورون

- مهمتنا إرهاب الفلسطينيين وتحويل حياتهم إلى جحيم !
- جرائم كتائب الإعدام لا يمكن أن يتحدث عنها أحد
- قواتنا تقتل الأطفال وتطبق العقاب الجماعى .. إنها جريمة حرب
- الجيش تعلم من النازى كيف يعمل فى المناطق المزدحمة
- ثمن تصريح السفر .. العمالة للجيش أو الخروج بلا عودة
- كيف نجح "جيش الدفاع" فى تخريب اتفاقات أوسلو ؟
- إلقاء اليهود فى البحر .. وهم سخيف صنع فى إسرائيل
- الاحتلال رأس الإرهاب .. والطرد حل على الطريقة النازية

عساف اورون .. رجل نحيل يبلغ من العمر ٣٦ عاما وهو أب لطفلين يعيش فى ضاحية موشاف نيهورا بجنوب إسرائيل . نشأ عساف فى ضاحية بيت هاكيريم بالقدس ويعمل حاليا فى حملات المساعدات الإنسانية للفلسطينيين التى تعنى بأحوال المشردين والجوعى ومَنْ هم فى حاجة ماسة للرعاية الطبية بعد العمليات العسكرية التى ينفذها الجيش الإسرائيلى . وكعضو نشط فى حركة الرافضين أعلن عساف رفضه للاحتلال وتضامنه مع ضحايا عمليات البطش التى يرتكبها الجيش الإسرائيلى رغم أنه أحد رجاله . هذا التناقض الظاهرى تعود جذوره إلى نشأة عساف الذى نشأ لأبوين مختلفين ايديولوجيا فى نظرتهما لإسرائيل ؛ فالأم ترفض السياسة الإسرائيلية بل إنها شاركت فى المظاهرات المناهضة لغزو لبنان وما أعقبه من مذابح مخيمى صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ بينما يعتبر الأب أن العالم كله ضد إسرائيل وأن القوة المسلحة هى السبيل الوحيد لمواجهة ذلك . ويعكس سلوك عساف اورون هذا التناقض داخل الشخصية الإسرائيلية فهو ضابط بجيش الدفاع يخدم فى وحدة يشعر بأنها تنتهك كل وأبسط حقوق الإنسان التى يؤمن بها .

• عقلية الجيتو :

ويقول عساف : نشأت على درب والدى معارضا لليسار . وعندما كان عقيدا فى جيش الدفاع كان يعتقد أن قوة إسرائيل تكمن فقط فى قوتها المسلحة . لقد عاش والدى وهو طفل حياة اللاجئين فى معزل لليهود فى شتيتل فى بولندا وهناك أخبرهم الروس بضرورة الرحيل وإلا فإن الألمان سيقتلونهم وبالفعل هاجروا شرقا وبعد انتهاء الحرب هاجر مع والديه إلى إسرائيل . ورغم انتماء والدى للمجتمع الإسرائيلى إلا أن هوية اللاجىء هى التى ظلت غالبة عليه لتشكل نظرته للعالم كله . أما والدتى فقد كانت ظروفها مختلفة فقد نشأت فى منطقة ما بوسط أوروبا لأسرة ليبرالية . وقبل الحرب انتقلت مع والدتها من المنطقة التى صارت تعرف بعد ذلك باسم اوشفيتز وهاجرت إلى فلسطين من بين المهاجرين اليهود الأوائل . لقد كانت من أسرة ذات نفوذ تملك سبل الحصول على التصاريح اللازمة للهجرة إلى فلسطين . وهكذا نشأت بين أفكار والدى المتشددة من ناحية والتى ترى أن إسرائيل هى الرد الطبيعى على ما لاقاه اليهود فى معازلهم فى وارسو واوشفيتز وغيرهما ، وعلى دعاوى السلام والعدل والحرية والمساواة للجميع التى كنا نسمعها فى أغانى جون لينون وديلون وبوب مارلى وغيرهم .

وفى سن الثامنة عشرة التحقت بالجيش . لم التحق به من دافع الحماس أو الوطنية بل فعلت ما يفعله كل إسرائيلى . وحاولت إلا أكون وحيدا مقابل آخرين يستعرضون عليك بطولاتهم فى الدفاع عن أرض الوطن . لم يطلبوا منا تعذيب الناس ولكن طلبوا منا أن نكون صارمين فى التعامل معهم . كانت

وظيفتنا أن نجعل الفلسطينيين يعيشون وقتا عصيبا وخاصة الشباب منهم ، فهم دائما فى دائرة الاشتباه . ودون تفكير أو شعور أصبحت مولعا بالقتال وفور أن نعتقل شابا ويحاول الهرب نطارده ثم نمسك به ونوسعه ضربا . نعم لقد شاركت فى الكثير من هذه الأفعال التى لا يمكن أن تمحى من ذاكرتى أبدا من ضرب وإهانة أشخاص بعضهم فى سن والدى .

وفى عام ١٩٩٠ أخذنى صديق للتطوع معه فى منظمة تعنى بمراقبة انتهاكات حقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة . كنت شغوفا لأرى ماذا يجرى على الجانب الفلسطينى . ومع رؤيتى لانتهاكات حقوق الإنسان فى القدس الشرقية والأراضى بدأت أرى الجيش من زاوية أخرى . بدأت أدرك إلى أى مدى ينتهج جيشنا سلوكا عسكريا غير مقبول . وفى غرفة ضيقة بالقدس الشرقية بدأت انقب بين كم هائل من الملفات عن أعمال القتل والتعذيب وحتى الإهانات العادية فى الحياة اليومية التى يواجهها الفلسطينيون . ولكنى شعرت بأنى كمَنْ يحاول إفراغ البحر بملعقة شاى !

عرفت إلى أى مدى كانت انتهاكات حقوق الإنسان ترتكب بشكل منهجى منظم فى الأراضى الفلسطينية . وإلى أى مدى يساهم نظامنا القضائى فى السماح بهذه الانتهاكات دون عقاب واضح . لقد أصبحت رؤيتنا للفلسطينيين تقوم على اعتبار أننا وهم فى مباراة من شوط واحد وأن فوزهم يعنى خسارتنا نحن .. والعكس صحيح .

● **سياسة صنع العملاء :**

باختصار هدفنا هو تنغيص حـياة الفلسطينيين لحرمانهم من أن يحيوا حـياة طبيعـية وتذكيرهم دائمـا بمَنْ يمسك في يديه كل شيء . وعلى سبـيل المثال الناس الذين يريدون تصـريحا للسـفر للخارج يطلب منهم إمـا التعاون مع الجيش أو توقـيع إقرار بأنهم لن يعودوا قبل عدة سنوات !

لقـد أعددنا تقـريرا على افـتـراض أن الناس سيطـلعون عليـه ويدركون الهدف من تـلك السياسة وهو تقليص عـدد الشباب في الأراضي الفلسطينيـة إلى أقل حـد ممكن . ومع ذلك لم يهتم بهـذا التقرير أحـد ، بل إن الناس كانوا يسألونني سؤالا سخـيفا : لماذا تساعد العرب ؟ أليس لدينا ما يكفينا من المشكلات ؟!

لقد تحولت الفتـرات الثلاث التي قضيتها كضـابط احتياط إلى مزيج من الخزي والشـعور بالغثيان . ورأيت كـيف سعى الجيش إلى تخريب اتفاقات أوسلو عمدا . وسأضرب لكم مثلا .. قبل أيام من الانسحاب من بيت لحـم كنت في فترة الاحتيـاط بهذه المنطقة وكان الجـميع في حـالة من الفرح والابتهـاج في أعقـاب الأجواء الاحتـفالية التي سادت بعـد اتفاقات أوسلو . ولكن كـانت الأوامر الصـادرة إلينا من قـادتنا تقول " فـتـشوا المسـاجـد حيث يوجـد المتشـددون وسجلوا أسـماءهم " .. وهو مـا يعني ضمنا الـسعي لافتعال أي اشتباك لإيجاد ذريعة لتأخير الانسحاب .

● **كتائب الإعدام :**

وفي ١٩٩٧ كنت في فـترة الاحتـياط في غزة لـم أكن أتصور ما يحدث ؛ فقد سلمت غزة نظريا للفلسطينيين ولكن الاحتلال ظل

كما هو بكامل صوره . فقد ظل الناس أسرى داخل القطاع لايسمح لهم بالدخول أو الخروج . أدركت أن هؤلاء المحاصرين سيكونون قنابل موقوتة ضدنا ولم يخيب ايهود باراك ومن بعده اريل شارون ظني بعد أن وفروا لهذه القنابل الموقوتة المفجرات اللازمة . صحيح أن زيارة شارون لساحة المسجد الأقصى المشؤومة تسببت في اندلاع احتجاجات فلسطينية قام خلالها المتظاهرون بإلقاء الحجارة وإحراق الإطارات ولكن الجيش رد بالذخيرة الحية ونشر القناصة على أسطح المباني لقتل المحتجين . فضلا عن ذلك، فإن كتائب الإعدام المعروفة باسم «دوفدیفان» كانت تجوب شوارع المدن الفلسطينية بالملابس المدنية وترتكب ما لا يمكن لأحد الحديث عنه . وعند هذه النقطة قررت ألا استمر في خوض تلك الحرب .

وفي يناير ٢٠٠٢ عندما حضرت أول اجتماع لحركة الرافضين بدا الأمر وكأني انظر في مرآة أرى فيها ٢٠ صورة لي . وللحق أقول إننا كنا جميعا من نفس الطبقة الاجتماعية فقد كنا من الطبقة الوسطى . ودعنا نقول إن الناس الذين يستطيعون اتخاذ خطوة شجاعة في اللحظة المناسبة هم أولئك الذين لا يعانون أي مشكلات اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية . هذا يفسر لماذا تقع على أولئك الذين ينشأون في مجتمعات النخبة مسؤولية المبادرة لتغيير وجه المجتمع . علينا التزام بأن نفعل شيئا تجاه ذلك . علينا مسؤولية أن نكون العصا التي تكسر ظهر الاحتلال . وبهذه الطريقة فقط يمكننا إنقاذ سكان هذه الأرض .

• **الخروج عن الصف :**

نعم .. أدرك أن أصـعب عمـل يمكن أن يقدم عـليه إنســان هو التمـرد والخروج عن الصف ، ولكن عنـدما تصل إلى قناعـة تامة بأن ما تقوم به هو جريمة بكل المقـاييس فإن هذا الحاجز النفسى يزول . ولسوء الحظ ، فـإن الفكر الذى يحكم جيش الدفـاع يقوم على قـاعدة تقول "لا تـكن منزعجـا تجاه ضمـيرك .. اهتم فـقط بمستقبلك." !! وكذلك فإن اختيـار الأمور المريحة حل سهل فمثلا يمكنك التظاهر فى مـيدان عام ولكن أن تنقل الطعـام إلى الجوعى الفلسطينيين أو تعلن التضـامن مع العرب وتنشق عن الصف، فإن هذا أمر لا يحتمل .

والغريب أن البعض يرى أن جنود جيش الدفـاع يتصرفون فى أغلب الأحيان بإنسانية وللرد على ذلك دعونى اسألكم كيف يمكن أن تفرض حظر التجول على مدينة بشكل إنسانى ؟! ولأضرب لكم مثلا .. فى قرية قرب نابلس كـانت هناك طفلة تسمى تبارك عودة عمرها عامان. كانت تبـارك مريضة تتعاطى دواء ولكن مع فرض حظر التجـول نفد الدواء من منزل الأسرة ومنع جـيش الدفاع أى أحـد من تقديم الدواء لهـذه الأسـرة . كنت شاهدا على هذا الأمـر ولكن عندما حـاولت منظمتنا التحرك لإنقـاذ الطفلة كان كل شىء قـد انتـهى .. مـاتت تبـارك . لم تكن تبـارك سـوى طفلة من بين عشـرات وربما مئات آخـرين يعيشـون ظروفها ولا يسـتطيع أحد الوصـول إليـهم . ولا شك أن الجنود الذين يقـفون عـند حواجـز التفتيش ويمنعون عـربات الإسعاف من المرور هم ينفذون الأوامر

ويؤدون عملهم لا أكثر . ربما لا يفكر أى من هؤلاء الجنود أن له يداً فى موت تبارك ولكن ألم يسأل أحدهم نفسه عمن يمنع سيارة الإسعاف من المرور .. إلا يعتبر هذا قاتلا للأطفال .

• عقاب جماعي :

ورغم كل ما يقال عن العقاب الجماعى للفلسطينيين فإن أحدا لايهتم بذلك . لقد نسينا أن مثل هذه الممارسات لا تقوم بها إلا النظم القمعية . فالنظم الديمقراطية لا تطبق أساليب العقاب الجماعى للناس .. إنها جريمة .

وقد يسأل البعض : لماذا يقتنع غالبية الإسرائيليين بأنه ليس لدينا خيار آخر . بمعنى آخر إنه لا بد من وقف التفجيرات الانتحارية بأى ثمن حتى أن بدت الممارسات غير أخلاقية ؟

ولكن دعنى أقول إن هذا الاعتقاد ينم عن فكر أعمى بالغ التشوش .. فالتفجيرات الانتحارية ليست سوى نتيجة لما يفعله شارون الذى لا يعدم حيلة لإذكاء هذا الحريق .. ففى كل مرة نعيش فيها فترة من الهدوء النسبى يقوم باغتيال شخص ما فتعود التفجيرات من جديد. التفجيرات الانتحارية تخدم أغراضه فى تجنب إمكانية التوصل لاتفاق مع الفلسطينيين . ومع كل تفجير هم يجنون المكاسب . وحتى المستوطنون على استعداد للتضحية بكل إسرائيل من أجل مصالحهم الخاصة . إننا نريد حماية دولية لأن حكومتنا لاتفعل ما يجب للدفاع عنا ضد هؤلاء المفجرين . ولا أدرى كيف يقبل الإسرائيليون فكرة أن السلطة الفلسطينية مسؤولة عن الأمن فى الأراضى فى الوقت الذى تفعل فيه الحكومة الإسرائيلية كل ما بوسعها لتحطيم قدرتها على الحكم .

• أكاذيب يهودية :

هناك كثير من الأكاذيب التى تروج لها إسرائيل .. ومن ذلك مثلا إنهم يتحدثون على مدى سنوات عن مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ويقولون "لماذا لا يحل العرب مشكلة اللاجئين ويقدمون العون لظروفهم البائسة "؟ واستكمالا للأكذوبة يأتى الجواب "إنهم يريدون أن يستخدموا هؤلاء اللاجئين فى دعاياتهم بشأن معاناة الشعب الفلسطينى "!! إن إسرائيل تردد دائما هذا الزعم ضد الدول العربية وتحاول أن تنسى أن جهة الاحتلال طبقا لاتفاقيات جنيف هى المسئولة عن توفير كل ظروف الحياة الإنسانية للمواطنين تحت الاحتلال . إن إسرائيل لم تبادر يوما لتحسين ظروف هؤلاء اللاجئين ولم تقدم لهم أى مساعدة ، إذ يحصل اللاجئون على المساعدة من المنظمات الدولية . والأمر ليس قاصرا على مخيمات اللاجئين بل إن القرى العربية داخل الخط الأخضر لاتتلقى شيئا من إسرائيل فضلا عن ممارسة كل أشكال التمييز ضد مَنْ يسمون عرب إسرائيل .

إنها مسألة حياة أو موت ضد الفساد لا بد أن نعرى كل أشكال الوحشية التى تكمن وراء كل ذلك . ومن أجل تحقيق ذلك يتعين علينا أن نخترق كافة الحواجز الذهنية والعاطفية .

• رسالة مفتوحة إلى يهود العالم :

بعد موجة من الاحتجاجات العارمة من الجماعات اليهودية فى الولايات المتحدة فى أعقاب نشر منظمة تيخون الإسرائيلية إعلانا على صفحة كاملة بصحيفة «نيويورك تايمز» يؤيد حركة الرافضين للخدمة من جيش الاحتلال الإسرائيلى فى الأراضى

المحتلة .. كتب الضابط عساف اورون هذا الخطاب :

أعزائى يهود أمريكا ويهود العالم :

« عرفت بالأمس بأن منظمة يهودية داعمة للسلام تسمى تيخون نشرت إعلانا يؤيدنا تعبر من خلاله عن دعمها لضباط الاحتياط الإسرائيليين الرافضين للخدمة فى الأراضى المحتلة. وفور النشر أمطرها يهود العالم وخاصة يهود أمريكا بوابل من رسائل الاحتجاج التى تنضح بالكراهية سواء عبر البريد الالكترونى أو الاتصالات الهاتفية . وما يثير الاهتمام أكثر أنه حتى اليهود الذين يعتبرون أنفسهم مؤيدين للسلام أدانوا إعلان تيخون . لقد استقال بعض أعضاء مجلس إدارة تيخون لتقليص أى أضرار شخصية قد تلحق بهم بسبب هذه الخطوة . هذا الأمر آثار لدى الأسى والحزن والغضب إلى حد أننى وجدت نفسى أجلس وحيدا نصف يوم عشية عيد الفصح كى أكتب هذا الخطاب المفتوح.

معظم هذه الهجمات "المتحضرة" كما فهمت كانت موجهة إلى تفاصيل الإعلان الذى نشرته منظمة تيخون . هنا فى إسرائيل وخلال الشهرين الماضيين ومنذ أن نشرنا خطابنا المفتوح للشعب الإسرائيلى نعلن فيه رفضنا الخدمة سمعت أيضا كثيرا من الجدل حول أهداف وجوانب حركتنا. إن المشكلة الرئيسية تكمن فى عقلية القبيلة كما أن المشكلة الأكبر فى إسرائيل أن الصوت العالى فقط هو الصوت الذى يسمح له أن يكون مسموعا دون الآخرين .. هذا الصوت العالى كان يقول إننا نعيش وسط قبيلتين ؛ الأولى هى قبيلة من البشر الأخيار والأطهار الخالصين وهم بالطبع

الإسرائيليون والأخرى هى قبيلة ما دون البشر وهم من الأشرار الملاعين الخالصين والمقصود بهم الفلسطينيون . ولا بد لقبيلة واحدة فقط أن تبقى على قيد الحياة .. وحتى لو لم نكن أخيارا خالصين لا بد أن ندع أخلاقنا وضميرنا يغط فى نوم عميق . لا بد أن نصمت ونحارب كى نقتل وإلا ، فإن الفلسطينيين سيلقون بنا فى البحر .

هل هذا يعنى أى صيحة تحذير بالنسبة لكم ؟ لقد كان كذلك بالنسبة لى .

• العرب .. وحوش آدمية :

دعونى أقول لكم شيئا .. عندما نشأت فى إسرائيل فإن كل ما سمعته هو أن العرب وحوش غير آدمية لا يفهمون سوى لغة القوة .. ومنذ أن كسب جيش الدفاع حرب الأيام الستة تعلموا ألا يرفعوا رؤوسهم أمامنا مرة أخرى . وبالطبع كان علينا أن نحافظ على الأراضى "المحررة" بين أيدينا . ثم جاءت حرب يوم كيبور (عيد الغفران) . وبالنسبة لطفل فى سنى يبلغ السابعة من العمر كان ذلك دليلا كافيا على أن العرب يريدون أن يلقوا بنا فى البحر. ولم أكن يافعا بما يكفى كى أعرف ما انتهت إليه الحرب .

ومرت سنوات قليلة حدثت فيها أشياء جميلة حيث جاء هؤلاء الذين يريدون أن يلقوا بنا فى البحر لمفاوضات سلام . وفى مقابل تسليم سيناء بالكامل (للمصريين) كانوا راغبين فى توقيع اتفاق سلام كامل . كنت آنئذ فى سنوات المراهقة وبالطبع شاركت فى مظاهرات مناهضة للانسحاب من سيناء . لأنى كنت مقتنعا تماما بفكرة أن هؤلاء العرب لا يمكن الوثوق بهم بالمرة وهذا هو ما تعلمناه وتربينا عليه منذ أول يوم فى حياتنا .

ولكن مصطلح "القاؤنا فى البحر" بدأ يأخذ معنى آخر مع الغزو الإسرائيلى للبنان بعد مناوشات على الحدود الشمالية .. لقد كان الهدف إقامة نظام صديق لنا فى بيروت . كان مهندس الغزو هو اريل شارون الذى كان آنذاك وزيرا للدفاع .. لقد صوت شمعون بيريس الذى كان زعيما للمعارضة فى ذلك الوقت مع جميع أعضاء حزبه لصالح غزو لبنان . كان هذا بالنسبة لى وأنا فى سن السادسة عشرة نقطة تحول أخرى فى حياتى . وعندما أدركت أن الحكومة كذبت علىَّ كى تبيع لى هذه الحرب انتقلت من يمين الوسط إلى اليسار . ويا للأسف لقد استغرق منى الأمر ٢٠ عاما أخرى فى عملية تحول بطيئة ومؤلمة كى أدرك إلى أى مدى تترسخ هذه الأكاذيب فى أعماق واقعنا . وعندما سحب بيريس معظم قواتنا من لبنان كنا ما زلنا لا نثق فى العرب، فأقمنا جدارا عازلا تحول إلى مستنقع دام على مدى سنوات حتى تكونت جماعة الأمهات الأربع لتناضل ضد الجنرالات والسياسيين والمتطرفين إلى أن تم الانسحاب نهائيا من لبنان .

● الخزى والعار :

وبالنسبة للفلسطينيين فإنهم أقرب إلينا بشكل مؤلم .. ومثل أخوين متصارعين دفعناهم إلى العداء . لقد أبعدناهم إلى هذه المنطقة التى استولينا عليها عام ١٩٦٧ وأطلقنا عليها بعد ذلك وصف "الأراضى" . لقد خلقنا واقعا مجنونا يستطيع فيه البشر الحقيقيون وأبناء أمة الأسياد التنقل والاستيطان بكل حرية وأمان فيما يزاح أشباه البشر وأبناء أمة العبيد إلى الجحور ليعيشوا على هامش الحياة غير مرئيين وتحت سيطرة جيش الدفاع . أعرف أننى كنت هناك . تعلمت أن أفعل هذا وأكثر .. ففى منتصف

الثمانينات كنت شاهدا على أعمال قتل أشعر بالخزى والعار وأنا أتذكرها اليوم . ومع استمرار هذا النهج كان لا بد للعنف أن يندلع ومرة أخرى استيقظت لدينا غرائزنا القديمة وظهر من جديد شعار "إنهم يريدون أن يلقونا فى البحر" . لقد ظللنا سنوات نرفض وجود "الآخر" ولا نعترف بأن هناك شعباً آخر اسمه الفلسطينيون ونقول دائما لا يوجد "شريك" يمكن أن نجلس معه وأن هؤلاء لا يفهمون سوى لغة القوة وهكذا كان الرد مزيدا من القوة وكأنك تضع النار بجوار برميل بترول .. وعند هذه اللحظة قلت لنفسى لن استمر فى هذا الطريق إلى ما لا نهاية .

ولكن .. تراك تسأل : ماذا عن الخطر الذى يهدد وجودنا ؟ وأنا اسألك أيضا : أليس لك عينان؟ ألم تر دباباتنا تعيث فسادا فى شوارع المدن الفلسطينية كل يوم ؟ ألا ترى طائراتنا تحلق فوق رؤوسهم كى تختار أى نافذة توجه إليها صواريخها ؟ أى نوع من الأمن هذا الذى نسعى إليه بترويع الفلسطينيين ؟

• نكتة سخيفة :

اسمعك تقول إن الهدف هو منع الإرهاب ! أى نكتة سخيفة تلك؟! نحن الذى ننثر البذور ونتعهدها بالرعاية ثم نحصد ما نزرع . وبعد ذلك تسيل دماؤنا ويجنى السياسيون من جماعات اليمين الثمار . فى الحقيقة الإرهاب هو أفضل صديق للسياسيين من أنصار اليمين .. ألا تعلم ذلك؟ عندما تعامل ملايين الفلسطينيين كأنهم غير آدميين ولفترة طويلة فإن بعضهم سيلجأ حتما إلى استراتيجيات غير إنسانية للرد . أليس هذا هو ما تبناه الصهيونيون والثوريون اليهود قبل مائة عام من أجل تبرير

الأساليب التى لجأ إليها اليهود فى أوروبا للبقاء أحياء فى وجه حملات الإبادة . ألم يقل لنا أجدادنا "لنعيش مثل الآدميين ونتصرف مثل باقى بنى الإنسان" .

يحدونى أمل أن أكون قد نجحت فى هذا الجزء من الخطاب فى توضيح مدى سخف شعار "إنهم يحاولون إلقاءنا فى البحر" . إنه وهم صنعناه بأيدينا . والأهم من ذلك ، فأنا لا أرى العالم من منظور قبلى . إنى أرى أناسا . أعتقد أن الفلسطينيين بشر مثلنا لابد أن نعاملهم كآدميين دون أن نطلب أى شىء منهم فى المقابل . وأقول لأنصار باراك الأوفياء أن إلقاء بعض الفتات للفلسطينيين كى يقيموا عليها وطنا تخنقه مستوطناتنا وتخترقه طرقنا ثم نقول إن ذلك منتهى الكرم ليس سوى قول خادع وأمر يفتقد العدالة التاريخية التى تعد أساسا ضروريا لبقاء دولتنا.

● **حرب إرهاب :**

فى نفس الوقت .. لا أريد أن أكون إرهابيا باسم قبيلتى وهو ما تحاول أن تروجه آلتنا الدعائية باسم "الحرب على الإرهاب" . إنها حرب إرهاب وليست حربا على الإرهاب . ومن أجل الانتقام من أعمال المسلحين الفلسطينيين وظفنا جيش الدفاع للقيام بنوعين من الإرهاب .. النوع الأول وهو الإرهاب الظاهر ويتمثل فى أعمال القتل والتدمير التى يحلو للبعض أن يسميها عمليات جراحية للدفاع عن النفس رغم أنها لاتؤدى إلا إلى مزيد من العنف وإراقة الدماء . أما الإرهاب الأسوأ وهو غير المرئى فهو المستمر منذ عام ١٩٦٧ وطوال سنوات عملية أوسلو وحتى اليوم. إنه إرهاب الاحتلال والإهانة اليومية لشعب محتل وممارسة كل

أشكال الحرمان والتجويع والتهميش والاستغلال بل وتشريع أعمال النهب ضده . هذه هى قاعدة جبل الجليد .

• أفكار نازية :

وأود أن أشير إلى نقطة بالغة الحساسية في هذه القضية .. وهى مسألة النازية . هناك قدر كبير جدا من النفاق لدى أولئك الإسرائيليين الذين يغضبون من المقارنة بين سلوك الإسرائيليين وممارسات النازى . ولا عجب في ذلك فالأحزاب اليمينية التى تؤيد طرد كل الفلسطينيين من البلاد وهى فكرة نازية فى جوهرها تمثلنا فى الكنيست وتعد جزءاً من الخريطة السياسية "الشرعية" منذ عام ١٩٤٨ . وتظهر أحدث استطلاعات الرأى أن ما بين ٣٥ و٤٥ فى المئة من اليهود يؤيدون هذا "الحل" كما يطلق عليه أحيانا . وعندما خرج جنرال الاحتياط ايفى أيتام من الجيش وشرع فى تكوين حركة دينية قومية جديدة نشر ملحقا فى صحيفة «هاآرتس» كشف فيه عن فكره الذى يتلخص فى طرد فلسطينيى الضفة إلى الأردن وطرد أولئك الموجودين فى غزة الى سيناء وقال لماذا يتعين علينا ونحن دولة فقيرة فى الموارد حل مشكلة الفلسطينيين . مثل هذا الفكر يعيد للأذهان ما فعله النازى فى الفترة المظلمة من عام ١٩٣٨ وحتى قيام الحرب العالمية الثانية عندما طرد اليهود من ألمانيا ولكنهم لم يجدوا ملاذا آخر يؤويهم . وعندما أرى جنرال احتياط ونجم سياسى صاعد يردد أفكار النازى وينشرها فى صحيفة تعتبر من أكثر الصحف الإسرائيلية ليبرالية ولا يجد أى تحفظ أو نقد ممن قابلوه أو من مسؤولى الصحيفة يقشعر بدنى رعبا .

• جريمة حرب :

وبعد ذلك بشهرين نقلت صحيفة «هاآرتس» عن أحد قادة جيش الدفاع الذى يعمل فى الأراضى الفلسطينية قوله : من أجل الاستعداد لمعارك محتملة فى المناطق المزدحمة بالسكان يتعين على جيش الدفاع أن يتعلم كيف عمل الجيش الألمانى فى معزل "جيتو" وارسو . وبعد أسبوع أعاد الصحفى نشر هذا الكلام معقبا بأنه يمثل فكرا واسع الانتشار فى جيش الدفاع ثم راح يدافع عنه على أسس أخلاقية . وبعد أيام شهدنا كيف أن هذه الأفكار لاتأتى من فراغ فقد اجتاح جيش الدفاع مخيما للاجئين .. وهى جريمة حرب لا تقبل النقاش ولا يبررها أى عذر . وفى المقابل توالت التفجيرات الانتحارية فى مدننا .

يحدونى أمل ضئيل فى أن يستيقظ الشعب الإسرائيلى ويوقف هذا التصعيد المجنون فى العنف . ولكن فى الحقيقة قرر الإسرائيليون فى غمرة خوفهم وارتباكهم الذى يغذيه السياسيون ووسائل الإعلام أن يعودوا للنوم كى يستيقظوا بعد أن ينتهى الأمر. ولكن فى الحقيقة الأمر لم ولن ينتهى على هذا النحو . وبينما تنام عقولنا نشد بقبضتنا المميتة على كابوس مزعج . الأمر الوحيد العقلانى هو أن نبدأ فى السير وهذا يتطلب عقولا منفتحة.. فهل تنضمون إلى حشود الغوغاء المزيفة التى تغنى لإسرائيل وتهدهدها كى تنام وتقمعون كل مَنْ يتجرأ على إيقاظها. أم ستتحملون المسئولية وتكونون الأصدقاء الحقيقيين الذين تحتاجهم إسرائيل الآن حتى لو كان ذلك غير مرغوب من جانب بعض الإسرائيليين فى الوقت الحالى ؟

الليلة .. تذكروا أن أكثر من ألف شخص ثلاثة أرباعهم من

الفلسطينيين وربعهم من الإسرائيليين الذين كانوا هنا قبل عام وقتلوا . (الخطاب كتب قبل أكثر من عامين) . كان من الممكن أن يكون غالبيتهم معنا اليوم إذا تحركنا بشكل أسرع . إننا نفعل الآن القليل مما نستطيع القيام به . أرجوكم أن تفكروا فى عدة آلاف قد يقتلون إذا واصلتم الوقوف مكانكم موقف المتفرج . أرجوكم ساعدونا فى النضال من أجل أن نتحرر من الخوف والعنصرية والكراهية وما ينجم عنها من موت وخراب » .

الفصل الثالث



الليفتنانت احتياط جاي جروسمان

- نمارس أبشع أنواع العنصرية في الخليل بسبب مستوطنة واحدة
- هدمنا ٦٠ منزلا في رفح وشردنا ١١٢ أسرة ثم كذبنا على الشعب
- جيش الدفاع يطارد الأطفال بالدبابات في الشوارع .. إنه عار !
- نحتاج إلى حركة عصيان مدني على طريقة غاندي ومارتن لوثر

نشأ جروسمان (٢٩ عاما) ببلدة رعنانا وهى مدينة راقية بقلب إسرائيل تميزها الفيلات الصغيرة المحاطة بالأشجار وتخرج فى جامعة تل أبيب بعد أن حصل على درجة جامعية فى الفلسفة .. ثم خدم كضابط احتياط فى سلاح المدفعية . جاءت أمه من استراليا بينما جاء والده من بريطانيا . لم تكن والدة جروسمان راضية عن قرار ابنها بعصيان الأوامر وتوقيع وثيقة الضباط الرافضين ومع ذلك كانت فخورة بمدى استماتة جروسمان فى الدفاع عن موقفه وخاصة إذا كان ذلك يؤدى إلى ضمان حياة أفضل لإسرائيل . وكان شقيقه الأصغر يخدم فى سلاح المظلات ويدرك أن الاحتلال شىء كريه ولكنه لا يقبل توقيع وثيقة الرافضين للخدمة فى الأراضى الفلسطينية . كان باقى أصدقاء جروسمان ينتمون إلى معسكر اليسار وأن كانوا لا يشاطرونه موقفه . كان جروسمان يشارك فى مظاهرات حركة "السلام الآن" منذ الخامسة عشرة من عمره وعندما بلغ السادسة عشرة أمسك بعلبة طلاء وراح يكتب على جدران مساكن بلدته "الاحتلال يعنى الفساد" . وفى الثامنة عشرة من عمره انضم إلى وحدة قتالية ولم ير أى تناقض بين الموقفين . وحتى وهو ضابط كان يعطى صوته لحركة ميريتس الداعية للانسحاب من الأراضى المحتلة .. وهو ما يعنى أنه كان يصوت للانسحاب من الأراضى . ولكن فى التسعينات

انضمت حركة ميريتس إلى حزب العمل وقبلت بتوسيع المستوطنات بعد توقيع اتفاقيات أوسلو . وكانت مبررات قادة الحركة أن العمل على انتهاء الاحتلال يبرر القيام بمثل هذه الممارسات على المدى القصير .. وهنا أدرك جروسمان أنه كان يعطى صوته لاستمرار الاحتلال وليس العكس .

• أكاذيب يومية :

أما النقطة الفاصلة فى حياة جروسمان فقد كانت اكتشافه تكرار الكذب من جانب المتحدث باسم الجيش فى البيانات الرسمية كى يبدو الجيش فى صورة إنسانية أكثر . وفى هذه المساحة يكشف جروسمان ممارسات الاحتلال وكيف كانت ممارسته اليومية الروتينية تعذيب السكان المدنيين فى الأراضى المحتلة ..

يقول جروسمان : خدمت فى وحدة أساسية لمدة أربع سنوات.. وعندما ينادينى أحد بلقب ليفتنانت جروسمان أشعر بذاتى وكنت لا أشعر بفرق بين كونى جنديا يخدم فى وحدة من وحدات النخبة تحمى الوطن وبين بناء هويتى الشخصية . ورغم أننى انتقد اليوم وجودنا فى الأراضى إلا أننى لم يخالجنى شعور بالذنب لكونى جنديا آنذاك. أعطيت الدولة ثقة كبيرة .. ولكن عندما خرجت من الجيش وأصبحت مدنيا من جديد بدأت أنظر من زوايا مختلفة وبدأ التحول بداخلى عندما ذهبت للخارج .. لقد خرجت من الخدمة عام ١٩٩٤ وذهبت فورا فى جولة تشمل دول أمريكا الوسطى والجنوبية وهنا بدأت أرى الأمور من الخارج .

• وخز الضمير :

عندما كنت فى الجيش كنت أشعر بشىء من وخز الضمير ولكنى كنت أواصل الخدمة فى الجيش .. أرى أن الضمير مسألة

نسبية وحالة مرنة أى أن رد الفعل يكون مؤقتا ووقفا على الظروف المحيطة . وعندما بدأت عملية السلام قررت أنه من الضرورى أن أكون هناك كى أدفع هذه العملية قدما .. فى عام ١٩٩٥ لم أكن أعرف أشياء عرفتها اليوم .. أعتقدت بسذاجة أن اسحق رابين وياسر عرفات درسا الموقف بكامله وقررا اتخاذ قرارات صعبة ولكنهما غير قادرين على إبلاغنا بكل التفاصيل بعد، وأنهما يعملان على تهيئة العقول والمشاعر لدى الشعبين أولا. وعندما قالوا "غزة — اريحا أولا" قلت إنها بداية ستليها خطوات .. فالجميع كانوا مقتنعين أوسلو .. أليس كذلك ؟!

● ممارسات عنصرية :

وطوال خدمتى العسكرية لم يكن الرفض وعصيان الأوامر خيارا مطروحا أمامى .. ولم يكن جزءا من المناقشات الحامية التى أجريها مع أصدقائى .. كنت مسئولا عن قطاع فى مدينة الخليل بعد مذبحة باروخ جولدشتاين ضد المصلين المسلمين بقليل .. كان الأمر هناك مثل سادوم وعامورا ولكنى لم أفكر فى أن أقول "يكفى هذا .. وأنا وجنودى نرفض أن نذهب إلى هناك". لابد أن تدرك أن العنصرية فى الخليل أسوأ من أى مكان آخر فى المدن الفلسطينية لوجود مستوطنة يهودية فى قلبها .. هل تصدق أن العرب محظور عليهم السير فى شوارع معينة بالمدينة ؟! وأن هناك ساعات معينة ترفع فيها القيود كى يسمح للعرب بالمرور فى شوارع أخرى ؟! أن التفرقة العنصرية فى هذه المدينة ظاهرة بشكل فاضح .

وبعد المذبحة كانت المدينة تلعق جراحها وكان العرب يتحينون الفرصة للانتقام لقتلاهم .. كان هذا قبل إقامة السلطة الفلسطينية

وقبل أن يكون هناك سلاح فى الأراضى . لقد جاؤوا إلينا بكل ما وصلت إليه أيديهم من سكاكين ومناجل وغيرها .. وذات مرة كنت أقف مع جندى وجرى نحونا رجل وألقى على الجندى زجاجة بها مادة حارقة وبدأ فى طعنه .. لذا أطلقنا عليه النار وقتلناه . مثل هذه الحالات تحدث طوال الوقت ..

كان الغضب عارما وكانت المظاهرات عنيفة . كان لا بد أن نطلق عليهم النار وقد أصبنا منهم الكثير .. وقد تسألنى كيف لهؤلاء الفلسطينيين أن يعيشوا وسط كل هذه الأهوال .. وأنا حقيقة لا أعرف .. أنت تقف هناك فى الشارع ولا تعرف ماذا يحدث فى الجانب الآخر منه أو كيف يعيش الفلسطينيون حياتهم اليومية . الناس لا يعرفون حقيقة ما يحدث هناك . كان إطلاق النار روتينا يوميا حتى أننا كنا نطلق النار على منشآت الفلسطينيين ولا نفكر مرتين فى الأموال التى اقتطعها هذا الفلسطينى من راتبه كى يقيم هذه المنشأة أو تلك . كان الجنود لا يعرفون أن ما يحدث فى هذه المدينة (الخليل) هو أسوأ أنواع العنصرية . فالمستوطنون تخصص لهم طرقا واسعة للمرور فى حين يتم حشر الفلسطينيين فى حارات ضيقة للمرور خمس ساعات فقط يوميا . وهناك سبب آخر يجعل الناس لا يفكرون فيما يحدث وهو تلك الآلة الدعائية الإسرائيلية التى تعمل على مدار الساعة .

• زوار الفجر :

وعندما تسمع بعض الأخبار عن عملية تفتيش لمنازل الفلسطينيين فأنت لا تعرف ماذا يحدث فى هذه العمليات . إن تفتيش منزل يعنى اقتحامه فجرا وسحب الأطفال نائمين من على أسرتهم وحشر أفراد الأسرة فى ركن ضيق من المنزل ووضع

فوهة البندقية على رأس رب الأسرة . ذات مرة كنت أشارك فى عملية تفتيش وطبقنا نفس الطريقة التقليدية وعندما صرخت طفلة وتبولت على نفسها بكت الأم أيضا ولكن أحد الجنود هددها ببندقيته طالبا منها إسكات ابنتها حتى لاتوقظ الجيران قبل أن يأتى دورهم فى حملة التفتيش . خدمت ست سنوات فى الاحتياط وكنت أبرر استمرارى بأننى إذا لم أقم أنا بذلك ، فإن جنديا آخر أقل حساسية ورأفة بالأطفال سيقوم بها .. بمعنى إذا كنت خارجا مع الجنود لهدم منزل فإننى سأنتظر حتى تأخذ الطفلة دميتها قبل أن نهدمه وهو ما قد لا يفعله جندى آخر .. كنت أبالغ فى مدى قدرتى على التأثير فى ممارسات جيش الاحتلال وبعدها أدركت أن ما أفعله ليس له أى معنى .. إنه يشبه مبدأ "إذا لم أسرق أنا فسيأتى صديقى ويسرق هذا الشىء لى " إنه تشويه للواقع .. إننا لا نعمل فى مصنع .. إننا نتحدث عن جرائم ترتكب .

قبل عامين ونصف العام دار نقاش مع قائد الكتيبة التى أخدم بها أبلغته بأنى أريد أن أظل أخدم فى الكتيبة ولكن ليس فى الأراضى الفلسطينية . وبعد شهر استدعانى القائد وأبلغنى بنقلى من الكتيبة نهائيا. أدركت أن الأمور ليست بالبساطة التى كنت أظنها .. لقد فضل القائد أبعادى عن أن أرفض أمرا أمام جنودى . وبعد شهر التحقت للعمل بالجبهة الداخلية وشعرت آنذاك بالأسى إذ انتقلت من وحدات النخبة إلى الصفوف الخلفية. وفى عملى الجديد كانت فرص إعلانى الرفض التام للخدمة معدومة .

• نقطة التحول :

وقد تسألنى عند أى نقطة أصبح قرارى برفض الخدمة واضحا أمامى . وأقول : دعنا نفرق بين الرفض بناء على تجربة

شخصية لعدة سنوات وتوقيع خطاب حركة الرافضين فى الجيش وتحويل الرفض إلى موقف سياسى .. ولكن كان اليوم الفارق فى حياتى هو يوم العاشر من يناير ٢٠٠٢ .. فى هذا اليوم هدم جيش الاحتلال ٦٠ منزلا فى رفح بجنوب قطاع غزة .. ثم خرج المتحدث باسم جيش الدفاع ليعلن بكل براءة أن هذه المنازل كانت خالية أصلا من السكان .. وهذا كذب خالص .. فقد أعلنت منظمات إسرائيلية وفلسطينية معنية بحقوق الإنسان أن عملية الهدم شردت ١١٢ أسرة فى لحظات وألقت بهم فى جو جليدى وشتاء قارس البرودة . فى هذا اليوم اتصلت بصديقى الضابط يانيف ايزكوفيتز كى أسأله عما يجب علينا أن نفعل .. فى هذه المرحلة لم أكن أفكر فى أن يكون خطاب الرفض دعوة مفتوحة للانسحاب من الأراضى.. كان خطابا يوضح أسباب رفضنا العمل فى الأراضى.

إن الدولة ليست كيانا نخدمه بكل السبل سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة .. الدولة آلية يفترض أنها هى التى تخدمنا . لا يمكن لأحد أن ينكر على الفلسطينيين آمالهم المشروعة . أنا شخصيا أفضل إقامة دولة تضم كل المواطنين المقيمين على ترابها فى المستقبل . ومادام الاحتلال باقياً فلا يمكننا الحديث كلمة واحدة عن المساواة . هل تحدث أحد من حكومتنا عن المساواة أو عن انهيار النظام التعليمى ؟ إن الجزء الأساسى والأكبر من ميزانية الدولة يذهب للأمن والمستوطنات . عندما سمعت وزير المالية يتحدث عن تخصيص مزيد من الأموال للأراضى قلت "ليساعدنا الرب" . فالاقتصاد فى أزمة ونسبة البطالة ١١ فى المائة فى الوقت الذى يتحدث فيه السيد الوزير عن تخصيص أموال جديدة للطرق الالتفافية والمجتمعات التى تحرسها المدرعات. إن دعوتنا للتوقف عن قمع شعب آخر هى معركة من أجل هوية

الدولة . إن دولة تهتم بالأسس الأخلاقيـة فى تعاملاتها هى أقوى بكثير من دولة تنشر دباباتها لمطاردة أطفال الحجارة .

• تشريع القتل :

وقد يقـول أحد إننى اخـترت طريقـا يراه البعض مـخزيا وهو رفض الخدمـة فى جيش الدفـاع ولكنى أقول إن مـا كنت أقوم به فى المخـيمات الـفلسطينية فى السـابق هو الذى يثـير الإحـساس بالخجل . ذات مرة كنا نقوم بحملة فى مخيم واندفع تجاهنا رجل ممسكا بحـجر فقـتلناه . نعم .. كان أمـر دخول المخـيم مشـروعا وكان إطلاق النار عليه حسب قوانين الجيش أيضا مشروعا .. فقد كان يقف على بعد عشرة أمتار عن أقرب جندى من قوتنا ويمسك حـجرا فى يده . عـندما يقـتل شـخص فى الأراضـى الفلسطينيـة يجرى تحقـيق قد يستمر عـشر دقائق من الاستـجواب ثم ينتهى بالتأكـيد على أن الجندى كـان فى حالة دفـاع عن النفس . وهكذا فإن كل شىء كان مشروعا ولكن فى النهاية قتل شخص .. وكنت اسأل نفسى كيف حـدث ذلك ولماذا قتلته ؟ بل لماذا أنا أخدم هناك أصلا ؟ إننى هـناك حسب قوانيـن الجيش بشكل مـشروع وهكذا فإن قتلى لهـذا الرجل أيضا تم بشكل مشروع !! ولكن حقـيقة أن الرجل مات تضغط على ضمـيرى .. اليوم أدرك أننى ما كان يجب أن أكون هناك من البداية . أى شخص يرى أحدا يتـقدم لهدم بيته سيمسـك بحجر ليدافع به عن نفسه وعن بيـته . ومع بالغ أسفى تجاه الرجـل الذى قتلتـه فإنى قـررت إلا أفعل ذلك مـرة أخرى . ورغم ما يقوله لنا السياسيون والجنرالات، فإن هذه الحرب ليست خيارا محتوما وأنه يجب ألا نكون هناك .

اليـوم أنا أنظر إلى نفـسى فى المرآة وأقـول "مَنْ أنا .. وكـيف كنت أفـعـل ذلك؟" ولماذا كنت هـناك .. ولماذا لم أفكـر .. لم أكن

حديث السن فقد كنت أدلى بصوتى فى الانتخابات ..

● هولوكوست أخرى :

إن القسوة التى يعامل بها جنود الجيش الفلسطينيين جعلتنى أفهم ما حدث فى محرقة النازى (الهولوكوست) وبالطبع أنا لا أقارن بين حملات الإبادة الجماعية التى كان ينفذها النازى ضد اليهود وبين ممارسات جيش الاحتلال .. ولكن أساس هذا السلوك واحد .. وأريد من الناس أن تجرى دائما هذه المقارنة .. لأنى أدرك إلى أى مدى يقوم البعض بنوع من المواءمة النفسية حتى يستمر فى الخدمة بجيش الدفاع . كما أن الشعب الإسرائيلى نفسه يقوم بهذه المواءمة حتى يتجنب رؤية ما يحدث هناك على الجانب الآخر.. هذا ما كان يحدث بالضبط فى ألمانيا .. كان الألمان يريدون تجنب رؤية ما يحدث فى معسكرات الاعتقال النازية فى بولندا .. وكانوا يذهبون إلى العمل كل صباح ويعودون إلى منازلهم ليلا دون أن يلتفتوا وراءهم . وفى ضوء ما يحدث فى إسرائيل حاليا أستطيع أن أفهم اليوم مشاعر الألمان آنذاك وحتى مشاعر جنود الجيش النازى (الفيرماخت) ومن أجل وقف هذه المواءمات النفسية لتبرير ممارسات الاحتلال، فإن الأمر يتطلب قدرا كبيرا من الشجاعة والنضج والإدراك . أكذب عليك أن قلت لك إنى كنت أشعر بالخجل وأنا جندى ولكن عندما يستيقظ الضمير تكون فى حاجة إلى قدر من الشجاعة للتخلص من الأساطير التى تربيت عليها . بالطبع لا يمكنك التخلص منها نهائيا مرة واحدة . الأمر يستغرق سنوات .

● عصيان مدنى :

أصعب شىء بالنسبة لى هو أصدقائى رفاق السلاح .. إذا كنت تخدم فى وحدة مقاتلة فأنت تعرف مدى قوة الصداقة بين

أفرادها. والجيش يعتمد على هذا الشعور ويدعمه .. لدى كثير من الأصدقاء الذين لم يعودوا يكلمونى .. وبالنسبة لـمَنْ يكلمونى فالعلاقة معهم متوترة . إنهم يعلمون إننى لن أكسب شيئا من رفضى الخدمة بل على العكس هم يعرفون أن ذلك مدمر لأسرتى ومستقبلى . إنهم يعرفون أنى أحب الدولة ولكن البعض يعتبرنى سرطانا فى جسد السياسة .. لست سعيدا بالاضطرار لرفض الخدمة فى الجيش ولكن البديل أسوأ بكثير . أدركت مع مرور الأيام إلى أى مدى كانت صعوبة تلك الخطوة التى اتخذناها بالرفض فى دولة عسكرية الطابع تخوض حروبا لا تبدو لها نهاية . فى البداية كنا نعتقد أن لدينا شعورا جماعيا بأننا إذا تحركنا جيدا، فإننا قد نغرى الرأى العام بالوقوف فى صفنا . كان لدى حماس المناضل تشى جيفارا . أعتقدت أن بإمكانى تحريك الجبال من مكانها .. ولكنى أدركت أن التغيير يحتاج مزيدا من الوقت . إننى أرى الآن أن رفضنا لا قيمة له ما لم يؤد إلى إنهاء الاحتلال . ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف فإننا فى حاجة إلى نوع من العصيان المدنى على طريقة مارتن لوثر كنج ومالكولم اكس وغاندى .. لقد عانى هؤلاء كثيرا فى البداية وتعثروا بل إن بعضهم قتل رميا بالرصاص . وبكل تواضع إننا نقدم للشعب الإسرائيلى تجارب هؤلاء .. لا ندرك الى أى مدى سيفلح تحركنا ولكن علينا ألا نتوقف عن العمل . فإذا توقفنا عن العمل فإننا نخلى الساحة للفريق الآخر .. سنظل نعمل على هذا الطريق ما حيينا سنظل نقاوم حتى تنسحب آخر دبابة من جيش الدفاع من الأراضى الفلسطينية .

الفصل الرابع



الليفتنانت احتياط يانيف ايزكوفيتز

- جيش الدفاع يرتكب أبشع الجرائم باسم الأمن
- أطالب بمعاقبة كل المتورطين فى مغامرة غزو لبنان
- سياسة طحن العظام فشلت فى هزيمة شعب يريد الحرية
- عندما يكتبون تاريخ الانتفاضة ستظهر حقائق مروعة
- مهمة الجنود عند حواجز التفتيش عنصرية فاضحة

ولد يانيف لأبوين من رومانيا هاجرا إلى إسرائيل فى الستينات ونشأ فى حى راق بضاحية ريشون ليتسيون التجارية بتل أبيب ، وكان يانيف أحد من صاغوا وثيقة الرفض التى هزت المجتمع الإسرائيلى ، وبعد تسعة أعوام فى الجيش اختار يانيف عصيان الأوامر بالخدمة فى الأراضى المحتلة ، وعندما بدأ يانيف فى رواية فظائع جيش الاحتلال كان كثيراً ما يسند رأسه بيديه ويتحدث ببطء شديد وكأنه يتحدث لنفسه أولاً قبل أن ينقل تفاصيل تلك الفظائع للعالم .

ويقول يانيف إن كثيراً من الجنود فى الجيش الإسرائيلى يشاركون فى أعمال القمع وترويع الفلسطينيين ويشعرون فى قرارة أنفسهم بالألم لما يرتكبونه من جرائم ضد بشر كل ذنبهم أنهم يرزحون تحت ربقة الاحتلال ولكنهم لا يستطيعون التردد لحظة واحدة فى تنفيذ الأوامر على اعتبار أن تلك الأوامر غير قابلة للجدل أو النقاش ، وما يزيد من إحساسهم بالمسئولية أنهم يتعلمون منذ اليوم الأول فى الخدمة العسكرية أنهم يؤدون مهمة مقدسة من أجل مجتمعهم وأسرتهم وأولادهم ، وفى ظل هذا الالتزام يشعرون بأن ما يقومون به هو قدرهم وأوامر السلطة العليا ، إنهم مدفوعون بإحساس الإخوة الذى يربطهم بأصدقائهم

وأقرانهم الذين يعتقدون أنهم يشاركونهم إخوة الدم ، ووسط كل هذه الاعتبارات يبدو الحديث عن حقوق الفلسطينيين أمراً نظرياً وبعيداً عن دائرة الاهتمام ، ولكن هناك مَنْ تغلب عليه مشاعر الإنسان ليقف رافضاً السير على طريق الإجرام حتى النهاية ، ومن بين هؤلاء يانيف ايزكوفيتز فماذا يقول :

• نكتة سخيفة :

يقول يانيف : لا يمكن أن تكون أخلاقياً في غزة .. إنه أمر لا يتسق مع العقل والمنطق السليم .. فهل تستطيع أن تقوم بمهمة «كيسوفيم» (ويقصد بها تدمير البنية الأساسية في منطقة محاصرة) على أنغام الموسيقى وأنت تبتسم ؟! هل تستطيع أن تمنح الفلسطيني الحلوى وتتمنى له صباحاً سعيداً بعد أن ينتظر لساعات عند نقطة تفتيش كي تسمح له بالعبور إلى عمله ؟! وقد يقول البعض إننا يمكن أن نحسن المعاملة عند حواجز الطرق ونقدم لهم القهوة والفطائر بدلاً من أن نرفض تنفيذ الأمور بالكامل .. أية نكتة سخيفة هذه ؟

ولكن ما يقلقنى أكثر هو أولئك الناس الذين يرون أن ما يحدث عند حواجز الطرق من إذلال للفلسطينيين إنما هو أمر شائن يقولون إن كل ذلك من أجل الأمن ، وهكذا يصبح كل شيء مباحاً باسم الأمن ، وقد يقول البعض إنه ليس هناك أدنى شك في أن الفلسطينيين يعانون كثيراً ولكن ماذا يمكن أن نفعل تجاههم مع الأخذ في الاعتبار التفجيرات الانتحارية ؟ إن مَنْ يردد مثل هذا القول إنما يتجاهل آثار ٣٥ عاماً من الاحتلال الذى دفع الفلسطينيين إلى مستنقع اليأس والإحباط .

لم أنشأ في بيت يساري فوالدي واحد من صقور إسرائيل .. لقد خدم ضابطاً في الجيش عدة سنوات ، وإن كانت والدتي تميل قليلاً لمعسكر اليسار ، وقد شجعاني على الانضمام للجيش ، كما أن أختي الكبرى خدمت في واحدة من أبرز الوحدات المقاتلة في الجيش ، وهكذا قررت الانضمام إلى أكثر وحدات الجيش تميزاً ولو على سبيل « البرستيج » ، وبدا الأمر بالنسبة لي وكأني اختار أفضل سيارة من معرض للسيارات الفاخرة .

منذ سنوات الصبا كانت ميولي عسكرية تماماً وكنت أقرأ مجلة القوات الجوية ومجلة «في المعسكر» التي يصدرها جيش الدفاع ، حتى لعب الأطفال التي كنت اشتريها كانت عبارة عن جنود من البلاستيك وغير ذلك من المعدات العسكرية ، ومع ذلك فإنني كنت هاويا للموسيقى وأجيد العزف على الجيتار ، وعندما حان وقت الانضمام للجيش فكرت في الانضمام إلى فرقة للموسيقات العسكرية ولكن في النهاية قررت الانضمام إلى وحدة مقاتلة وقلت لنفس إنها فرصتي الوحيدة لخدمة الوطن .

كان طموحي الوحيد هو أن أكون ضابطاً وكانت فترة التدريب العسكري الأولى بالنسبة لي حياة جديدة حتى أنني عندما كنت أعود إلى بيت الأسرة في فترة الإجازات وأرى المدنيين كنت أعتقد أنهم لا يفهمون أي شيء ! وبدأت أشعر بالتفوق والتميز على هؤلاء البعيدين عن الجيش وهو إحساس يشعر به تقريباً غالبية العسكريين في جيش الدفاع ، وأنا آسف أن أقول ذلك .

• مشاهد مروعة :

وبعد ثمانية أشهر كلفت وحدتنا بمهمة في قلقيلية وجنين

بالضفة الغـربية ، أتذكر ذات مرة كنت فى دورية فـى عربة جيب عسكرية ببلدة قباطيا فى ذروة عملية السلام وكانت هذه أول مرة أواجه فـيهـا السكان الفلسطينيـين ، شـاهدت أطفالاً فلسطينيـين يسبحون فى بحر من النفايات بحـثاً عن طعام ، كان قائدى يمنعنا من أن نلقى لهم بقـايا طعـامنا . عـصيت هذا الأمـر ، وألقـيت كل ما معنا من وجبـات زائدة إلى هؤلاء الأطفال . كانت هذه أول مرة أعـصى فيـها الأوامـر العسكرية ، كـنت مصـدوماً لتلك المشـاهد المروعة ، أطفـال فلسطينيـون يتضـورون جـوعاً يفـتشـون أكوام النفايات بحثاً عن طعام !! إذا شـاهد شخص ما طفل يهودى يفعل ذلك فى تل أبيب فإن الدولة كلها ستقف على أطراف أصابعها .

الشىء الثـانى الذى أتذكره عندمـا كنا نقوم بحـملات مـداهمة وتفتـيش لحساب الأمن العام المعـروف باسم «الشاباك» ، لم يكن لدينا فكرة عما نفعله وما المغزى منه . كانوا يقولون لنا « خذ هذه الخريطة .. وهذا هـو المنزل .. اذهب هناك مهمـتك أن تدخل المنزل مع قائدك وتفتشه » .. فى هذا الوقت كنت قـد أمضيت فقط ثمانية أشهر فى الجـيش ولم أكن أعرف ما نفتش عنه .. قـالوا لنا « إنها أسلحـة » .. ولكن كانت مـهامـتنا تتم فى مناخ مـغلف بالضبـاب لا تعرف فيه ماذا نفعل . ذات مـرة دخلنا بيتاً فلسطينياً كان أفراد الأسرة كلهم نيام فى غرفة النوم .. فـتحت الأم الباب .. لم نقتحم المنزل بعنف .. فـتـشـت المنزل وفـتـحت خـزائن الملابس .. جـال بخاطرى كل أفلام الأكشن الهوليـوودية التى شاهدتها . خيل إلىَّ أن واحداً سـوف يقفز فى وجـهى من أحد هذه الخزائن . وفـجأة انطفأ نور الكشاف الذى استخدمـه فى التفتيش أعطتنى المرأة لمبة

صغيرة لأكمل مهمتى .. تذكرت أن ذلك لا يتفق مع أحداث السيناريو فى أفلام هيولوود .. ولكن لم أدرك بعد أن ما أقوم به لا يتفق أبدا مع أبسط حقوق الإنسان أن تدخل غرفة نوم أطفال لتفتيشها فى منتصف الليل !

• كيف تقتل طفلا :

الحادث الثالث هو الأسوأ . سقط حجر على عربة جيب وأصيب جندى كان بداخلها .. دربونى على كيفية ضرب الأطفال والصبية من رماة الحجارة دون شعور بالذنب وكان شعارهم « أى شخص يتقدم نحونا يريد قتلنا ولا بد أن نبادر بقتله » ، اعتقلنا الطفل الذى ألقى الحجر واستمر الجنود فى ضربه بكعوب البنادق فى وحشية لم أر لها مثيلا ونقل الطفل إلى المستشفى فى حالة حرجة مصاباً بكسور فى جميع أنحاء جسمه .

لقد أصبح الجيش هو الجهاز التنفيذى والتشريعى والقضائى فى الدولة . لم يعتقل الجنود الطفل فقط بل قرروا نوع العقوبة التى يجب أن توقع عليه ونفذوها فى الحال ! ولكن ما أثار ضيقى الشديد تلك التحقيقات الصورية التى جرت بعد الحادث والتى أثبتت أن الجنود استخدموا « قوة معقولة ومناسبة » للتعامل مع الطفل . لقد عرفت فيما بعد أن هناك عملية تستر مروعة على تفاصيل ما حدث .. ليس هناك فهم لقواعد استخدام القوة فى الجيش أو القانون أو حقوق الإنسان . إننى أفهم أن تعتقل طفلاً كان يحاول أن يهاجمك كما أفهم أن تكبل يديه ولكن إلى هنا تنتهى مهمة الجندى ، وتبدأ مهمة المحكمة أو القضاء ليوقع عليه الجزاء المناسب لجريمته .

وقد يسألنى أحد كيف واصلت العمل مع الجيش فى ظل هذه الظروف ؟ وأقول .. إننى سأحكى الحقيقة كاملة .. لم أفكر أبداً فيما أفعله أو لماذا أو فى أى سياق يتم هذا . عندما كنت أشعر بالضيق مما أراه كنت أفرغ مشاعرى فى قصيدة شعرية أو فى مشادة مع خطيبتى .. كنت أتمزق داخلياً ولكن بدوافع إنسانية .. إذ لم يكن هناك أى تساؤل بشأن أخلاقيات احتلالنا للضفة الغربية .. لقد تعلمنا أن حرب ١٩٦٧ بدأت بعدوان ضدنا .. فماذا نفعل إذا بدأ أحد علينا الحرب وحاول قتلنا ؟ لم أشعر أبداً بأن الفلسطينيين شعب له هوية تستحق أدنى اعتبار .

العنصر الآخر الذى عزز الدوافع العسكرية داخلى كان رحلة مدرسية إلى بولندا . فى بولندا شعرت بالإهانة التى يلقاها اليهود وقلت « لن يحدث ذلك مرة أخرى » . نحتاج إلى جيش قوى ، وإن كنت أدركت بعد ذلك أن ما شعرت به كان مقصوداً لذاته وهو السبب الذى من أجله ينظمون مثل هذه الزيارات . كان لدى شعور دائم بأنه إذا لم تكن هناك دولة يهودية فإننى ما كنت موجوداً على قيد الحياة . فضلاً عن ذلك، فإن الحفاظ على بقاء الشعب اليهودى ليست مسألة قابلة للنقاش ولا تخضع لاعتبارات أخلاقية أياً كانت.. لم نقرر أن نكون محتلين ولكن فعلنا ذلك دفاعاً عن النفس .. وشعرت بأن استيطاننا لهذه الأرض أمر مشروع .. باختصار كل ما تفعله الدولة هو تصرف أخلاقى ومبرر وضرورى على ضوء ما حدث لليهود فى محارق النازى . كانت هذه هى الأفكار التى تشربتها منذ نعومة أظافرى ليس فقط فى البيت ولكن فى المدرسة ودروس التاريخ ووسائل الإعلام وكل ما كان يحيط بى .

● جريمة بدون عقاب :

ولكن اعتقادي في كل هذه الأشياء بدأ يتآكل قبل قليل من الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان .. فعلى مدى ثلاث سنوات كانت مهمتي مع الوحدة التي أخدم بها حماية القرى والبلدات الإسرائيلية عند الحدود الشمالية .. كل ما كنت أعرفه هو أن حزب الله جماعة من الإرهابيين وأن علينا قتل الإرهابيين .. ولكني لم أسأل نفسي أبدا لماذا نحن موجودين هنا في الشريط المحتل بجنوب لبنان . في البداية كنت غاضباً جداً من حركة الأمهات الأربع التي تدعو لانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان.. لأني كضابط خسر عدداً من جنوده لم أكن على استعداد للتسليم بأننا هناك دون سبب . وكل ما تعلمته منذ اليوم الأول للانضمام للجيش هو أن هدفي الأساسي قتل الإرهابيين في لبنان. أكبر عمل بطولي يحظى بالتمجيد في جيش الدفاع هو أن تقدم جثة شخص على أنه إرهابي .. فهذا هو السبب الذي من أجله نشأت وهو السبب الذي من أجله وضعت على رأسي هذا البيريه !

نستطيع الخروج من هذه الدائرة المظلمة .. انظر إلى الأمريكيين أنهم لايختلفون عنا في النظر إلى العرب بدءا من أفلام هوليوود وانتهاء بما تفعله القوات الأمريكية حاليا في أفغانستان والعراق .

هذا النهج الذي يتعلمه الأطفال اليهود منذ الصغر يجعلهم يشعرون بالتفوق العنصري على عرب إسرائيل وحتى اليهود الشرقيين (السفرديم) يشعرون بأنهم يهود من الدرجة الثانية في إسرائيل وفي المقابل فإن اليهود الغربيين (الاشكيناز) يخدمون في وحدات النخبة بجيش الدفاع . إذا لم تكن أبيض

البشرة وإذا كنت تستمع لأغانى أم كلثوم فإنك تشبه العرب أكثر من أن تكون إسرائليا .

● جريمة باراك :

لقد ارتكب باراك جريمة تاريخية عندما صور عرفات على أنه شيطان بعد فشل كامب ديفيد . إنه خطأ باراك أكثر مما هو خطأ عرفات . وأخطر ما فعله باراك أنه خلق شعوراً عاماً لدى الإسرائيليين بأن حل المشكلة الفلسطينية مستحيل وأن عرفات يكذب وهو ما ساعد اليمين على ترويج مزاعمه بضرورة عدم التسامح تجاه الأراضى .

والآن هذه هى صورة معسكر اليسار .. فالعمل منقسم خاصة بعد أن شارك فى حكومة وحدة وطنية مع الليكود ليصبح جزءا من اليمين وحركة ميريتس لا يسمع لها أحد صوتا وعلينا ألا ننسى أن زعيمها يوسى ساريد كان أحد الصقور البارزين فى إسرائيل الذى رفض يوما الانسحاب الإسرائيلى من لبنان . زعيم المعارضة الآن فى إسرائيل هو زعيم حزب الصمت . أكبر خطأ ارتكبه معسكر اليسار أنه ركز على قضايا الأمن (وهى القضية الأساسية لأحزاب اليمين) وتجاهل قطاعات اجتماعية حيوية فى المجتمع اليهودى كانت تشكل القاعدة الشعبية له . هذه القطاعات لايمكن لليسار أن يصل إليها الآن . عندما يتحدث زعماء اليسار اليوم، فإن هؤلاء الذين شعروا بالتجاهل على مدى سنوات يصمون آذانهم .. إنها الخطيئة الكبرى التى بدأت مع إعلان قيام إسرائيل وحتى اليوم .. وأشك كثيرا فى إمكانية تصحيح هذا الخطأ فى المستقبل القريب .

وبالنسبة للمؤثرات التى دفعتنى لاتخاذ قرار عصيان الأوامر

بالعمل في الأراضى المحتلة أقول .. قبل ثلاثة أشهر كنت فى غزة وقمت بما يقوم به أى جندى فى جيش الدفاع ، وعندما عدت إلى المنزل شعرت بنوع من انفصام الشخصية .. ففى حياتى المدنية لم تمتد يدى بأذى لأى أحد . كنت أحاول أن أكون عطوفا مع الجميع وأميل إلى أن أكون شابا طيب الخلق . ولم أكن مثلا أخرج ليلا للتحرش بالنساء .

عرفت أننى لم أذهب للخدمة فى الأراضى مرة أخرى .. قلت لصديقى ذلك فشاركنى مشاعرى . توصلنا إلى نتيجة مؤداها أننا لا يجب أن نعلن رفضنا ثم نعود إلى المنزل وننام فى هدوء .. إننا صهاينة ووطنيون وعلينا مسئولية تجاه جنودنا ولابد أن يكون رفضنا عملا مسموعا وألا يتحول إلى عمل فردى .. وهذا يفسر سبب توقيعنا لخطاب حركة الرافضين فى الجيش .

إنه نفس الشعور الذى دفعنا كى نكون جنودا مقاتلين هو الذى يقف وراء قرارنا الآن بأن يشعر جنودنا بأننا لم ولن نتخلى عنهم. نريدهم أن يدركوا أننا نكافح من أجلهم أيضا .. غالبيتهم لايريد أن يخدموا هناك (فى الأراضى الفلسطينية) أردنا أن نبلغهم أن من حق الشخص في دولة ديمقراطية أن يرفض الأوامر إذا لم يكن مؤمنا بها .

• جرائم جيش الدفاع :

وكثير من الناس يسألون لماذا هذه الحركة الآن .. إن ذلك يضر بأمن الدولة .. وأقول لهم .. بعد أن ينتهى كل شىء سوف يسأل الكثيرون : لماذا ما فعلناه فى الأراضى الفلسطينية .. فما يحدث أولاً وأخيرا هو عدوان سيظل أثره على مدى أجيال قادمة. وحتى

الآن لا يمكننا أن نـقدر مـدى بشـاعـة مـا يحـدث . عندمـا يكتب الفلسطينيـون تاريخ الانتفـاضتين الأولى والثانيـة ، فإن مـا فعله جيش الدفاع سينكشف وسيكون أمرا مروعا .

ودعوني أكشف أمـرا مهما .. لسنا أول من رفـض الخدمة من بين ضـبـاط الجـيش في الأراضي الفلسـطينيـة المحـتلة .. ولكن الحقـيقـة أن الجيش يتـبع سياسـة على مدى سنوات تقـوم على التكتم والتـعامل مع مـثل هذه القضـايا بهدوء وبعـيدا عن أعـين وسـائل الإعـلام . ولم يكن هناك سـوى حـالات مـحـدودة أودع أصحابها السجون .

وفي النهـايـة أقـول .. نحن من جـيش الدفـاع ولكـننا قـررنا الخروج على الإجماع ليس بدافع الخـوف أو لأننا تعرضنا لغسيل مخ .. ولكن لأننا تسببنا في ظلم مروع لشعب كامل . خرجنا على الصف لأننا لانملك أي خيار آخر . علينا التزام أخلاقي كي نرفض. إنه دور تاريخي علينا أن نقـوم به . إنه البديل الـوحيد لما يـحدث هناك من فظائع . هل يمـكن أن تتصـور أن كل مـاتقوم به عندمـا تخدم في الأراضي الفلسطينية هو مراقـبة الفلسطينيين لمنعهم من عبور الحواجـز الأمنية ونقاط التفتيش مقـابل ضمان حرية التنقل لليـهود !! إنك بهـذه الطريقة تطبق سـيـاسـات عنصريـة محـضة وبشكل فاضح .. فإلى متى ؟ !

الفصل الخامس



الميجور احتياط رامى كبلان

- دولتنا تقوم على الظلم ومصيرها إلى خراب
- الأوامر: اقتلوهم عند الجدار بعيدا عن الكاميرا
- تربينا على أن العرب أعداء منحطون.. ونظامنا يمجد مصاصى الدماء
- حزب العمل هو من احتل الأراضى الفلسطينية وزرعها بالمستوطنات
- لعبة سخيفة جدا بين الجيش والمستوطنين بمباركة الحاخامات
- أتوبيس مصفح و٣ عربات جيب ودبابة لنقل طفل واحد إلى تساريم!
- باراك لعب فى كامب ديفيد مثل مقامر يراهن بكل شىء مرة واحدة

ظل قطاع غزة مغلقا منذ توقيع اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣ . هذا القطاع يقطنه نحو ١,٢ مليون فلسطيني مزدحمين كلهم فى بلدات وقرى ومخيمات تمتد على نحو ٣٦٠ كيلومتراً مربعاً . والقطاع الذى لا تزيد مساحته على مساحة مدينة أمريكية محصور فى رقعة من الأرض بعمق ثمانية كيلومترات يحدها البحر . ولا يسمح سوى للمستوطنين بحرية التنقل داخل هذه الأرض حتى يتمكن الجيش الإسرائيلى من السيطرة على المنطقة بكاملها بشكل جيد . ويخضع الفلسطينيون لقيود مشددة فى التنقل من مكان مغلق إلى آخر مما يعنى أنهم يعيشون فى مجتمعات صغيرة منفصلة تمثل أقل من ٨٠ فى المئة من إجمالى القطاع . وفى الواقع يسيطر ٦٩٠٠ مستوطن يهودى على ٢٢ فى المئة من الأرض و٢٥ فى المائة من المياه . وتمزق ١٨ مستوطنة والطرق الواصلة إليها أراضى القطاع حتى أن الفلسطينيين لايتبقى لهم أى قطعة متصلة من الأراضى . علاوة على ذلك فإن المستوطنين عندما يستخدمون طريقا، فإنه يغلق فى وجه الفلسطينيين . هذه العناصر تفسر لماذا يعيش أكثر من ٨٢ فى المائة من الفلسطينيين فى قطاع غزة تحت خط الفقر بأقل من دولارين يوميا . ومع حرمانهم من حرية التنقل والعمل وتلقى

الرعاية الطبية أو الذهاب إلى المدارس وزيارة أقاربهم يعيش الفلسطينيون فى فقر مدقع تحيط بهم الأسوار المكهربة . باختصار هذه التجمعات المزدحمة التى تحيط بها الأسوار تعنى أنهم يعيشون فى سجن كبير .

● **عصيان الأوامر :**

ويتمثل الهدف الأساسى للجيش الإسرائيلى المتمركز فى غزة فى حماية المستوطنين والقيام بدوريات على الحدود مع مصر وفرض الإغلاق والحصار على الفلسطينيين . هذه الظروف غير الإنسانية دفعت بعض العسكريين فى "جيش الدفاع" إلى التمرد وعصيان الأوامر .. ومن بين هؤلاء الميجور رامى كبلان ..

نشأ رامى فى تل أبيب حيث مجتمع الصفوة والنخبة الحاكمة وكبار موظفى الحكومة . ماتت أمه التى كانت تنتمى لليسار وهو فى الثالثة عشرة أما والده فكان رجل أعمال لا يشغل نفسه أبدا بالجيش أو شؤون السياسة . وبحكم رتبته كان كبلان أعلى ضابط يوقع وثيقة رفض الخدمة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.. فماذا يقول هو عن نفسه ؟

فى الثامنة عشرة وجدت نفسى فى الجيش بشكل آلى . وطوال السنوات الست التالية كان الجيش يتفق مع تكوينى وتطور أفكارى . أعترف بأن الجيش غيرنى من إنسان أنانى إلى إنسان جاد . اعتبرت الخدمة العسكرية هدفاً نبيلاً وكان ذلك أمرا غير مطروح للنقاش . ولكنى كرهت الخدمة فى الأراضى المحتلة وأصبحت على اتصال بالسكان المدنيين . شعرت بأن جيش الدفاع يخدم أغراضا سياسية هناك . لم أستطع أن أظل كما أنا أمام

معاناة الفلسطينيين وظروفهم المعيشية التى تحط من قدر الإنسان. لم أكن أشعر بالارتياح وأنا أقف على حواجز التفتيش لاستجواب فلسطينيين فقراء ذاهبين إلى عملهم فى الرابعة فجرا .

• كلمة السر "كيسوفيم" :

لحسن الحظ كان تدريبى على الدبابات والآليات المخصصة للحرب الشاملة . وكانت الفترات التى خدمت فيها فى الأراضى محدودة بشكل لم يتح لى أن أطلع على كثير مما سمعته من آخرين . كانت فترة الاحتياط الأخيرة لى فى قطاع غزة وكان العمل الروتينى اليومى لنا يتصل بتدمير الأراضى مثل تقطيع أشجار البساتين وتجريف أراضى الحقول . فى البداية رفضت ولكنى رضخت لأن قائدى الذى كان أيضا صديقى طلب منى أن أساعده . كانت كلمة السر فى عملنا دائما هى "كيسوفيم" وهى كلمة معناها بالعبرية التدمير الوحشى للبنية الأساسية للمجتمعات وسبل معيشة الناس . وكانت عمليات التدمير تتم على هذا النحو.. تدخل دبابة وجرافتان أو ثلاث جرافات منطقة محاطة بسياج تدعمها دبابة أخرى . هذه الحملة تأتى دون سابق إنذار إلى قطعة من الأرض تخص أناسا فقراء يعيشون فى منازل مبنية من قطع الأحجار ثم تبدأ الجرافات فى تقليع الزرع وتقطيع الأشجار وتجريف الأرض تحت سمع وبصر هؤلاء الناس الذين لايملكون سوى متابعة ما يحدث فى يأس وعجز . لم يكن يجرؤ أحد من هؤلاء على الاحتجاج أو حتى التلويح بقبضته غاضبا فى وجه الدبابات . كان الخوف يجبر هؤلاء الناس على الوقوف فى صمت وذهول وهم يرون تدمير مصدر رزقهم الوحيد من أشجار فاكهة

أو زيتون بعضـها يصل عمره إلى ٢٠٠ سنة . لم يكن أحد يأخذ معاناتهم فى الحسبان ، وكل مـا فى الأمر بالنسبة للجيش أن تلك الأشجار تعرض حياة الجنود للخطر .

• اقتلوهم عند الجدار :

وذات مرة كانت مـهمة وحدتنا تتمـثل فى إغلاق القطاع ومنع العمال الفلسـطينيين من الانتقال للعمل فـى إسرائيل وعند إحدى نقـاط التفـتيش كـان عملنا اليـومي ينحصـر فى مطاردة العـمال الفلسطـينيـين الذين يحـاولون التـسلل إلى أرباب الـعـمل الذين ينتظرونهم على الناحية الأخـرى من الجدار . وفى كل مرة نطارد فلسطينيـا ثم نمسك به نعـيـده إلى غزة بـعد اسـتـجواب سـريع وتهديده وتحذيره من تكرار ذلك . ولكن صدرت أوامر جديدة من قادتنـا تقول إن السمـاح لمثل هؤلاء بتكرار مـحاولات التسـلل قد يغرى إرهابيـين بالقيام بنفس العـمل ولذلك تغيرت قـواعد إطلاق النار لتسمح بإطلاق النار على مَنْ يحاولون التسلل .. وكان نتيجة السياسة الجديدة مقتل كـثيرين من بينهم طفل عمره سبع سنوات دون أدنى سبب فقد كانوا كلهم عمال ولم يكونوا إرهابيين . وبعد مـقتل الطفل أدخل الـقادة تعـديلا على قـواعد إطلاق النار حـتى لايكون ذلك أمام الكامـيرا فأصـبحت "اقـتلوهم عند الجدار" لأن قواعد إطلاق النار عند الجدار تتم دون قيود !

حاولت الوقوف والاحتجـاج ولكنى لم أستطع خشية أن أوصم بأنى شخص انهزامى أو يسارى مـتطرف أو محب للعرب .. دربنا قائـد الوحدة كـيف نطلق النار على امرأة وأطفـالهـا الخمـسة إذا ساروا بجـوار الجدار ليلا . كـانت القواعد تقضـى بأن نقتلهم ثم

نعلن أننا اكتشفنا ستة أشياء تتحرك تتقدم نحونا بشكل مريب .
بمعنى آخر وطبقا لقواعد إطلاق النار فإنك ما أن تشعر بالارتياب
تجاه شخص فيمكنك أن تطلق عليه النار دون تردد . ومع ازدياد
أعمال القتل صدرت أوامر أكثر تقييدا لإطلاق النار ولكن قادة
الوحدات تذرعوا بأنها تحد من قدرتهم على حماية جنودهم ،
ليستمر الوضع على ما كان عليه . كان معنا قادة يساريون ولم
يجرؤ أحد منهم على القول إن هذه الأوامر غير مشروعة ولكنى
قلت فى نفسى إن تلك الأوامر غير أخلاقية وأمرت الجنود بأن
يطلقوا النار فى الهواء لتخويف المتسللين وإجبارهم على العودة
إلى غزة .

• حكاية نتساريم :

نتساريم مستوطنة ذات طبيعة خاصة يقطنها نحو خمسين
أسرة يهودية وتقع وسط قطاع غزة ولا يحيط بها أى مستوطنات
أخرى . كانت كتيبة كاملة تعززها الدبابات والعربات المدرعة تقف
دائما على أهبة الاستعداد لحمايتها .. أى أن عدد الجنود كان أكبر
من عدد السكان المكلفين بحمايتهم . لا أحد من سكان نتساريم
يدخلها بسيارة عادية .. وسيلة النقل الوحيدة هى الأتوبيسات
المصفحة ومن المناظر المضحكة أنه فى بعض الحالات نضطر لنقل
طفل واحد فى حافلة مصفحة تحيط بها ثلاث عربات جيب مدرعة
ودبابة !!

والمستوطنة لايمكن الوصول إليها إلا بطريق يشطر قطاع غزة
نصفين شمالا وجنوبا .. تمت تسوية كل شىء على جانبى هذا
الطريق بالأرض واقتلاع الأشجار وهدم المنازل والمصانع التى

تبعد مئات الأمتار عن الطريق فى الاتجاهين . هذه المستوطنة أشبه ما تكون بعظمة محشورة فى حلق قطاع غزة . وعلى مدى أكثر من ٢٠ عاما كتب الكثير عن عمليات مصادرة الأراضى الفلسطينية وسرقة المياه وتدمير المحاصيل . ولذلك ليس غريبا أن تكون نتساريم هدفا للهجمات الفلسطينية بكل ما يتاح لهم من وسائل وسبل .

كان الشبان الفلسطينيون بعد كل صلاة جمعة يأتون إلى الجدار ويوجهون الشتائم للجنود ثم يبدأون فى رشقهم بالحجارة ويقتربون أكثر فيطلق الجنود النار فى الهواء وعندما يلوذ الصبية بالفرار يطلق القناصة النار عليهم . فالاعتقاد الراسخ فى رأس كل هؤلاء القناصة أن الفلسطينيين هم الذين يدفعون أولادهم للموت برصاص الإسرائيليين لتصوير جثثهم واستخدامها نقطة لحسابهم فى حملتهم الدعائية !

● صحوة ضمير:

وبعد كل ما شهدته فى غزة لم أكن قد وصلت بعد إلى نقطة رفض الخدمة هناك لأنى شعرت أساسا بأنى مسؤول تجاه جنودى.. وإذا لم أكن معهم فقد يتعرضون للخطر أو يقومون هم بأشياء ضارة . وبعد آخر جولة ميداينة قمت بها فى غزة استغرق الأمر منى عدة أشهر كى اتخذ قرارا بعدم العودة إلى هناك مرة أخرى . أبلغت قائدى بالقرار وكنا على وشك تسوية الأمر بهدوء بحيث يتولى قائد آخر تغطية موقعى وأن أتولى أنا أى مهمة أخرى . ولكنى سمعت بعد ذلك بالخطاب الذى أصدرته حركة الرافضين . وجدت أن الاعتبارات الأخلاقية من أجل مصلحة بلدى

ومجتمعى أن أوقع علـى هذا الخطاب . ولكنى بقيت فى حالة جدل مع ذاتى . كنت عـازما على إخـفاء الأمر بـرمته حـتى أتجنب دفع ثمن "الخـروج على وحـدة الصف" . لم أكن راغـبـا فى دخـول مواجـهة مع الجيش . ولكن بعد عـشرة أيام قصفت قـوات جيش الدفاع محطة الإذاعة الفلسطيـنية فى رام الله .. فوقعت الخطاب . وبعد أيام كنت منخرطا تماما في حركة الرافضين.

ربما استغرق منى هذا القـرار وقتا أطول من اللازم ولكن لابد من القـول إن صوت الضـمـيـر عندى كان خـافتـا طوال خدمـتـى الأساسيـة بالجيش ومعظم خدمتي الاحـتياطية . وعندمـا التحقت بالجامعة قرأت كثيـرا عن العلوم السياسية وإدارة الأعمال وبدأت أفكر فى معنى الاحـتلال لتحديد مـواقفى السياسـية . لاحظت أن الإسرائيليـين لا يشعـرون بأى غضاضـة تجاه احـتلال الأراضـى الفلسطينيـة .. ولكن عندمـا تتحـدث معـهم عن احتـلال أى دولة لأراضى دولة أخرى يتـبارون فى وصف مدى بشاعـة الاحتلال . وبالنسـبة للجنود، فـإن الجيش يقـوم باستـمرار بعمـلية تفـتيت لمعتقدات وأفكار هؤلاء الجنود . فأحكامنا الأخلاقية تصاب بالشلل لعدة عـوامل أهمها أننا نتبنى فكرا يقـوم على اعتبار الـعرب أعداء منحطين متآمرين غير آدميين . كـما أن مؤسستنا العسكرية تمجد هؤلاء الذين يقـتلون ويشـبعـون تعطشـهم للدمـاء ، ونحن نتلقى التشجيع على أن نكون جزءا من هذه العصابة . وعندما تتجمع كل هذه العناصـر فى وضـع احـتـلال تكون الكارثة قـد حلت . ولكى تقف وترفض هذه المأساة تكون فى حاجة لتجـاوز ضمير جماعى غرس داخلك على مـدى سنوات من التعليم والتنشئـة . ولكن مثل

هذه الأشيـاء تحتاج وقتـا لتنمو وتتطور إلى أن تصل إلى الضـفة الأخرى من النهر التى يستيقظ عندها الضمير .

وربما يسألنى أحد عما إذا كان لدى أى رؤية سياسية .. وأقول إننا فى حـاجة لاستـعادة نمط القـيم والأخلاق اللازم لبـقاء دولة إسـرائيل . لا بد أن تترك إسـرائيل الفلسطينـيين يعـيشـون وأن يقيـموا دولتهم المسـتقلة على الأراضى المحـتلة عام ١٩٦٧ . على إسـرائيل أن تعتـرف بدورها فى المأسـاة التى يعـيشـها الشـعب الفلسطينى عـلى مدى الخـمسـين عـاما الماضـيـة وأن تكون على استعداد لعلاج وتصـحيح هذه التجاوزات والأخطاء. لا بد أن نجد أيضا حلا لمشكـلة اللاجئين دون أن يؤثر على الأغلبيـة اليهودية . وبعد زوال الاحتلال يتعين على إسـرائيل أن تعيد تأهيل علاقاتها مع جميع الأقليات والجماعات المهمشة وخاصة مواطنينا من عرب إسرائيل . لكن مـا دامت إسرائيل تعطى اليهود مـزايا تميزهم عن غيرهم، فإنـها لاتستطيع معاملة الجمـيع على قدم المساواة بغض النظر عن الجنـس واللون والدين والعـرق . أنا شـخـصـا أفـضل وجود دولة لـكل المقيمـين على ترابهـا .. دولة لا يميـزها عرق أو دين.. ولكن القضية الأكثر إلحـاحا الآن هى إنهاء الاحتلال بأسرع ما يمكن .

● حكاية عرض باراك :

ربما يتحدث الـبعض عن "العرض السخى" الذى قـدمه ايهود باراك فى كـامب ديفيـد ورفـضه الفلسطـينيون .. وربما يسـارع البـعض إلى إلقـاء اللوم عليـهم .. ولكن النظر بدقـة إلى الظروف المحـيطة بما حـدث يؤكـد أن القـضـيـة لم تكن كـذلك أبدا . ومن

الضرورى أن نوضح ما حدث في كـامب ديفيد . لقد وصل باراك إلى كامب ديفيد بعد أن فقد غالبية أعضاء الكنيست الثقة فى نهجه السياسى . لقد وصـل إلى هناك مثل مقامر مستـعد للمراهنة بكل رصيده في البنك .. فإذا ربح حـصل على السلام وإذا خسر ضاع كل شيء . لم يكن عرض باراك مغـريا للفلسطينيين بما يكفى ؛ إذ لم يقدم لهم ما يحـتاجونه من انسحـاب من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ أو حل مشكلة اللاجئين .. وكل مـا قاله باراك للفلسطينيين "لن تحصلوا عـلى أكثر من ذلك .. إمـا أن تقبلوه أو ترفـضوه" . كان باراك يعلم أن رفض الفلسطينيين لهذه الصـفقة يعنى القضاء على مسـتقبله السيـاسى ولذلك بادر بتحميلهم المـسؤولية متـهما إياهم بأنهم غير مـستعدين للسلام الحقـيقى . وهكذا فشل باراك وفشل معـه معسكر اليسار . ولكـن لابد من الإشارة إلى أن فشل اليسار لم يبدأ بعهد باراك بل يعـود إلى فترة أبعد من ذلك بكثير . فقـد بنى اليسـار شرعيـته على مـجتمع النخـبة وهى الفـئة التى حظيت باهتمامـه . ثم حاول استخدام عملية الـسلام على حساب رفاهية الدولة ولم يقـدم شيئا للفقـراء . وبينما ازداد الأغنياء غنى وظل الفـقـراء مكانهم حـيث هم . كـان ٢٠ فى المائة من السكان لايحصلون عـلى أى دخل ويعيشـون على المعونات الاجـتماعـية . كان الجـميع يعلمون أن الفـقر هو التـربة الخصبـة لنمو التطرف والعنصـرية: لم ترفع أى حركـة يسـارية فى إسرائيل من حـزب العمل إلى ميـريتس إلى جماعة "السلام الآن" راية الضمـير أكثر مما رفعت راية المنفعة والمصالح . وكـلما كانت الفوائد الناتجة عن الاحتلال أكثر خفـتت الأصوات المعارضة له . وعلينا ألا ننسى أن

العمل هو الذى احتل الأراضى الفلسطينية فى البداية . وهو الحزب الذى أبقى هذه الموارد من قوة عمل رخيصة وأراض ومياه مجانية فى أيدى إسرائيل . كانت هناك فرص لا تعد ولا تحصى لإعادة هذه الأرض إلى العرب مقابل السلام . والعمل هو أيضا الذى زرع أول مستوطنة على الخريطة بما فى ذلك ما يسمى بالمستوطنات الإيديولوجية مثل مستوطنة جوش ايمونيم . وعندما بدأت الانتفاضة الأولى أدرك هؤلاء أن الاحتلال أصبح عمل غير مربح للدولة ، وخاصة للذين لديهم شىء يخسرونه وهم الفئة التى شكلت ما يسمى بمعسكر السلام . وبعد فشل محاولة قمع الانتفاضة بسياسة "تحطيم عظام الفلسطينيين" التى نادى بها زعيم العمل آنذاك ، أدرك أنصار معسكر السلام أن مصلحة إسرائيل تكمن فى إقامة دولة فلسطينية وتحقيق السلام الإقليمى.. أى أن المسألة كلها مصالح ولا وجود فيها للضمير.

● لعبة الاستيطان :

وعن آلاعيب المستوطنين .. حدث ولا حرج .. وسأضرب لكم مثلا .. فى إحدى المهمات تلقيت مع الوحدة التى أقودها أوامر بإخلاء مستوطنة عشوائية إقامها عدد من الشبان المتطرفين قرب كارنى شمرون . وعندما حان وقت إجلائهم استعان هؤلاء الشبان بمئات آخرين من المستوطنين الذين سدوا أمامنا الطرق بالعربات ومنعوا قوات الجيش من الوصول إلى مستوطنتهم . ولكننا وجهنا إليهم عدة إنذارات بإخلاء المستوطنة وإلا فإننا سنلجأ للقوة لإخراجهم منها . وبعد ليلة طويلة اضطررنا للنوم فيها أمام عرباتنا وافق وفد منهم على الذهاب إلى حاخاماتهم بالقدس

لاستشارتهم والعودة فى اليوم التالى وبعد عودتهم أبلغونا بالموافقة على الإجلاء على أن يعودوا مرة أخرى بعد شهر .. نعم نفذنا الإخلاء ولكن ماذا كان فحوى قرار الحاخامات بالإجلاء المؤقت .. أدركت بعد ذلك مغزى قرارهم وهو السماح بتصوير عمليات الإخلاء كى يظهر الجيش فى صورة أخلاقية وهو يزيل مستوطنة عشوائية ثم تكون عودة المستوطنين بعد شهر إلى نفس المكان مشروعة على أساس أنها تمت باتفاق مع الجيش !! وعلى هذا المنوال تسير لعبة شد الحبل بين الجيش والمستوطنين بناء على قاعدة تقول "دع الجيش يكسب ثم عد بعد قليل"!

وللأسف، فإن هؤلاء المستوطنين الذين يعتنقون أشد الأفكار إظلاما يقودونا إلى حرب بلا هدف تدمر المشروع الصهيونى من الأساس . إنهم أصبحوا من القوة بحيث بات بإمكانهم جر الدولة كلها وراءهم . لابد أن نعيد صياغة هذه المعادلة لأن الدولة ليست ملكهم وحدهم بل ملكنا نحن أيضا .

• كلام الله :

هناك سطر فى الإصحاح (أحد أسفار التوراة) يوضح أين نقف نحن الآن .. يقول الإصحاح إن شعب إسرائيل يحيا فى يهودا حياة أخلاقية .. ثم يحذر "إذا كنتم طائعون وراضون فستأكلون خيرات هذه الأرض ولكن إذا تمردتم ورفضتم فإنكم ستهلكون بالسيف بأمر الله . هذه القاعدة التى وردت فى الإصحاح تعكس قانونا إلهيا مفاده أن الدولة التى تقام على الظلم مآلها إلى دمار وخراب ، فى حين أن أى وجود يقام على بنيان من العدل، فإنه ينعم بالرخاء والرفاهية . هذا القانون الإلهى يكرر نفسه فى كل

مراحل التاريخ الإنسانى . واليـوم فى إسرائيل .. انظر .. إننا نباد بالسـيف .. إننا نهلك ونقـتـرب من الفناء مـثل شـعب يهـودا لأن وجودنا أقيم عـلى أساس من الظلم بسبب الاحتـلال أولا وأخيرا . ولن ينقـذنا من الإبادة بالسيف إلا العـودة إلى إقامة بنيـاننا على أساس من العدل . فهل فات وقت التغيير.

الفصل السادس



الليفتنانت احتياط يوفال لوتيم

- فضلت دخول السجن عن الخدمة فى معتقل ميجدو
- كيف يسجن أبرياء لسنوات دون محاكمة فى دولة ديمقراطية ؟!
- حكاية الهولوكوست تغذى الشعور بالخوف لدى جميع اليهود
- يا عزيزى كلنا نازيون .. وقطار السلام لا تحركه أنهار الدم

يوفال لوتيم (٤٥ عاما) مخـرج سينمائى وأب لطفلة يعيش فى بلدة كفار شمارياهو وهى بلدة راقـية شمال تل أبيب . ولد يوفال فى حيـفا لأسـرة من اليهـود الغربيـين (الاشكيناز) ذوى مـيول اشتـراكية ومن مـؤيدى حزب العـمل ومع ذلك فإنه لم ير نفـسه مميزا بأى ممـيزات خاصـة عن غيـره . رفض يوفال الخـدمة فى الأراضى الفلسطينيـة أكثـر من مرة . وسـجن مرتين بسـبب هذا الرفض . المرة الأولى فى حرب لبنان .. كـان يومها ليـفتنانت فى الجيش يبلغ من العمر ٢٥ عـاما ولم يشارك فى هذه الحرب . ولم يسجن ولكنه نقل إلى وحدة أخـرى . وبعد ذلك رفض الخدمة فى الأراضى الفلسطينيـة وفى كل مرة كـان قادته يهددونه بـالسـجن ولكن فى نهاية الأمر ينقلونه إلى وحدة أخرى .

وخـلال الانتفـاضـة الأولى رفض يوفـال الخـدمة فى غـزة ، فسجن ٢٨ يوما فى سـجن عسكرى . وبعد عدة سنوات رفض أن يخـدم فى سجـن ميـجـدو .. ورغم أن ميـجـدو يقع داخل الخط الأخضر إلا أنه رفض لوجـود معتقلين فلسطينيين رهن الاعـتقال دون محاكمـة فى هذا السجن سيىء السمعـة . ومرة أخرى وجد نفسه يقضى ٢٨ يوما فى السجن . فماذا يقول هو عن نفسه ..

● **الحلم الصهيوني :**

يقـول يوفال : لقـد نشأ والداى هنا وكـانا من اليهـود الأوائل الذين جاؤوا إلى هذه الأرض لتحقيق الحلم الصـهيوني . قتل عمي في أحد الحـروب لذا فقـد أصيـبت أسرتي بإحـباط شديد عـندما رفضت الخـدمة في جـيش الدفاع . حـاولت إقناعهم بـأن رفضـي سيحـول دون موت آخرين إلا أن ذلك لم يقنعـهم . وفي الجلسات العائليـة دائما ما أفـضل أن أجلس صامتـا على أن أدخل في جدل مع الآخرين .. كان والدى مـثالاً للإنسانية .. كـان منفتح العقل .. كان بحـارا ويحب الشعـر .. علمني أن أنظر إلى كل شيء بعـيون ناقدة . نشأت وأنا أشعر بثقـة في نفسي وأشعر بالأمن والأمان . هذه النشأة تفسر سـبب تفاؤلي بأن كل شيء سيكون في النهاية على ما يرام .

في الثـامنة عشـرة التحـقت بالجيش على اعـتقـاد أنني ذاهب لأحارب معـركة البقاء .. بقائي أنا وأسـرتي وبقاء الوطن . رغبت في الالتحاق بوحدة مقاتلة فوجدت صعوبة في ذلك ولكني سلكت كل السبل كي التحق بها وبالفعل نجحت في النهاية .. وكنت أؤدى الخدمـة بكل حمـاس . وحتى اليوم فـإني أرى أن الدولة يجب ألا تتخلى عن قدرتـها على الردع . ولكني أعتقد أنه يـجب القيام بكل ما يمكن لتجنب استخدام هذه القوة . لا أزعم أني شخص مسالم.. إني مستعد للقتال من أجل وطني . فكل شخص له حق الدفاع عن النفس . ولكني لن أشارك في اقتحام بيت أحد .

● **كلنا نازيون :**

وبعد أشهر من انتهاء مدة خدمتي الإلزامية بالجيش ذهبت في

رحلة إلى جنوب إفـريقيا وهناك بدأت أنظـر إلى الأمور من زاوية مختلفة وقابلت أناسا آخرين .. قابلت أناسا من ألمانيا وتحدثنا عن الحرب العالمية الثانية والمحرقة (الهولوكوست) .. أتذكر أن أحدهم تحدث عن النازيين قـائلا "الجميع مـثلهم .. نازيون" .. بعد ذلك أدركت أن كلمة "الجميع" تشملنا نحن أيضا !

وبعد عودتى من جنوب إفريقيا استدعونى مباشرة للخدمة فى الاحتـياط فى حرب لبنان ولكنى رفـضت ولم يدخلونى السجن . وبعد عشرة أعوام فى عـام ١٩٩٢ رفضت مرة أخرى .. وفي هذه المرة أودعونى الـسجن . كنت أدرس يومهـا السينمـا في جامـعة تل أبيب وأعـمل سائق تاكـسى . كان من المفـترض أن أخـدم فى غزة.. حدث ذلك عندما كان حـزب العمل فى السلطة وكان إسحق رابين رئيـسـا للوزراء . وكان البـعض يقـول لى "كـيف ترفض الخدمة في الوقت الذى يتحدثون فيه عن السلام"؟ ولكنى أدركت أن هذا القـول رغم مـا به من مـنطق إلا أنه لا يبـرر الخـدمـة فى الأراضى. نعم .. لقـد سلمت إسـرائيل غـزة للفلـسطينيـين ولكن الاحتـلال ظل قائمـا بكل صوره من إغـلاق وقتل وتشـريد وقمع للسكان المدنيين . لم أكن أرغب فى أن أكـون فى وضـع يسمح لى بإطلاق النار على صبى يلقى علينا حجـرا . لم أكن أتصور نفسى وأنا فى كـامل عـدتى وعـتـادى أشهـر سـلاحى فى وجـه أناس لإرغامهم على الصمت لأن ذلك يعنى ببـساطة أننى أسيطر عليهم بالقوة. كنت متفائلا بشدة تجاه عملية السلام .

● **قطار الدم :**

وقد يسـألنى أحد .. كيف كنـت تشعر بالتـفاؤل مع استـمرار

الاحتلال وحصار مئات الآلاف من الفلسطينيين فى غزة وحرمانهم من العمل فى إسرائيل بما يعنى حرمانهم من مصدر رزقهم الوحيد . وأقول : كنت متفائلا بناء على معطيات عدة فها هو قطار القضية الفلسطينية يتحرك أخيرا نحو السلام بعد سنوات طويلة من الجدل العقيم . كنت أعتقد أنه سيواصل المسير ولكن للأسف كان لا يتحرك إلا بعد إراقة مزيد من الدماء والقتل والدمار .. وفى عام ١٩٩٧ رفضت الخدمة فى الضفة الغربية وقال قائد الوحدة سوف نسجنك بسبب رفضك .. ولكن ضابط آخر اقترح إرسالى إلى مكان آخر وسألت ما هو ؟ فقال : داخل الخط الأخضر .. إنه سجن ميجدو ..

● سجن سيىء السمعة :

كنت أعرف أن هذا السجن هو الذى يضم الفلسطينيين المعتقلين إداريا دون محاكمة ولا يسمح لهم باستقبال أى زيارات أو تلقى أى رسائل مكتوبة أو لاسلكية .. قلت لن أذهب إلى هذا السجن اللعين .. نظرت لى ضابطة الارتباط (١٩ عاما) وقالت فى دهشة وذهول "ماذا بك .. نحن دولة ديمقراطية .. وكل ما يجرى فى هذا السجن يتم بالقانون"!! ولم أجد أى جدوى من النقاش مع هذه الفتاة الغبية .. وذهبت إلى سجن ميجدو لأنى لم أكن أريد أن أتيح للجيش فرصة اعتبارى متغيب دون إذن . أعتقدت أن قائد الكتيبة فى ميجدو سوف يعرف عن تاريخى فى الرفض ويقوم هو بفصلى من الخدمة . ولكن القائد قال لى إن جميع المسجونين هنا إرهابيون أو مفجرون انتحاريون مفترضون ، وقال إنه سيساعدنى فى أن تكون خدمتى القيام بأعمال الدورية خارج

السجن بحيث لا تكون لى أى علاقة بالسجناء . أبلغت بأن سجن ميجدو هو جزء مكمل للاحتلال ولا يختلف أبدا كونه داخل الخط الأخضر أو خارجه . قلت له إنه ربما يكون هناك رماة حجارة مسجونين فى هذا السجن ولا داعي لاحتجازهم بدون محاكمة .. وقلت أيضا إن الأمر الأبشع هو أن هناك مسجونين كثيرين داخل هذا السجن محتجزون دون توجيه أى تهمة لهم أو تقديمهم لمحاكمة عادلة. وقلت أيضا إن السجانين مجرمون ولكن ليسوا هم فقط بل النظام كله نظام مجرم وغير مقبول وأنا لن أشارك بأى حال في هذه الجريمة . وسجنت ٢٨ يوما آخر.

● رسالة من سجين :

وبعد أن خرج من الخدمة العسكرية فى يوليو عام ١٩٩٧ تلقى يوفال لوتيم خطابا من أحد سجناء سجن ميجدو بعنوان "خطاب للجندى المجهول" يقول "قرأت خبرا قصيرا فى صحيفة القدس نشر يوم ٨ يوليو ١٩٩٧ يقول : قضت محكمة عسكرية بسجن جندى إسرائيلى رفض تنفيذ أوامر الجيش وقال الخبر المكون من ثمانية أسطر إن العسكرى برتبة ليفتنانت وقد رفض قائلا "إننى أفضل أن أسجن عن أكون سجانا لسجين سياسى محتجز دون محاكمة". فمن أنت أيها الضابط ؟! ما اسمك وأين تعيش وما عمرك .. هل لديك أطفال .. وما الكتب التى قرأتها .. ماذا قالوا لك فى المحكمة العسكرية وبماذا أجبت .. وكيف تقضى الآن أيامك فى السجن مثلنا وراء القضبان ؟!" وغير ذلك الكثير من الأسئلة التى تطرأ على ذهن أى سجين. التوقيع "عماد سابا" .

● **حكاية عماد سابا :**

وكان عماد سابا محتجزا منذ ١٢ ديسمبر عام ١٩٩٥ دون محاكمة ودون تحديد لفترة الاحتجاز التحفظي . لقد زعمت السلطات بأنه عضو نشط في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .. ومن ثم فهو يشكل خطرا على الأمن الإقليمي . وفي مايو ١٩٩٧ وبينما كان عماد سابا مسجونا دون محاكمة أصدرت منظمة بيتسليم الإسرائيلية لحقوق الإنسان تقريرا قالت فيه إن هناك ٢٤٩ فلسطينيا محتجزون إداريا دون محاكمة في ظروف تشبه معسكرات الاعتقال. كان عماد سابا حتى اعتقاله مفكرا فلسطينيا ويعمل مديرا عاما لمعهد بيسان للبحوث والتنمية في رام الله ومحاضرا في جامعة بير زيت . وحصل عماد وهو في السجن على منحة دراسية بأحد المعاهد البحثية في لاهاي . فطلب من الجيش السماح له باستكمال دراسته فقوبل طلبه بالرفض . ولكن في النهاية تم الإفراج عن عماد بموجب اتفاق مع محاميه يقضي بإبعاده إلى هولندا وهكذا خرج عماد سابا من السجن بعد كل هذه الأيام والشهور دون أن توجه له أي تهمة بارتكاب أي جريمة !!

ويقول يوفال : بعد أن قرأت رسالة عماد ومقالا نشر عنه بالصحيفة قررت أن أقابله .. كانت الصحيفة قد نشرت له صورة وهو يحمل طفلته الصغيرة دينا . كان لدى أيضا طفلة في نفس السن . ولكنه حرم من رعاية ابنته طوال العامين اللذين قضاهما في السجن .كنت أود أن يعرف عماد أن هناك إسرائيليين ليسوا مثل الجنود الذين سجنوه وأن هناك مَنْ يريد للشعبين أن يعيشا حياة كريمة . وبعد أن خرجت من السجن التقيت بعماد وكونا

صداقة مازالت قائمة حتى اليوم وانضم اليها فلسطينيون آخرون من ضحايا السجن دون محاكمة .

وعندما عاد عماد إلى غزة لم يعتقد فلسطينيون هناك أن إسرائيليا يمكن أن يفعل مثل هذا الشيء . ولكنى لم أر فى ذلك أى عمل بطولى . ولم أسأل عماد عن نشاطه فى الجبهة الشعبية لإيمانى العميق بأن من حقه القتال من أجل وطنه مثلما هو الحال بالنسبة لى .. عندما تلقيت خطاب عماد كان الشيء الذى فاجأنى هو "كيف لشخص تتهمه السلطات بأنه قاتل وإرهابى أن يكتب خطابا بهذا الشكل الإنسانى الرائع ؟ وعلى أى حال لم يقدم جيش الدفاع ضد عماد أى دليل على أى جريمة سواء ارتكبها أو حتى حاول ارتكابها . كان عماد معارضا لاتفاقات أوسلو وكتب مقالات بهذا الشأن .. وبعد يوم أو يومين من تسليم رام الله للسلطة الفلسطينية اعتقلت اسرائيل كل المعارضين لهذه الاتفاقات وأودعتهم رهن الحجز الإدارى دون محاكمة !

● الحل فى ثلاث دول !

إننى لا أعرف الكثير عن فكر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ولكنى سمعت أنها تؤيد دولة لكل مواطنيها بغض النظر عن العرق أو الدين وأن كنت أعتقد أن الوقت لم يحن لمثل هذه الأفكار التقدمية .. وبالنسبة لى أنا شخصيا فإنى أفضل قيام دولتين لشعبين متساويين فى كل الحقوق .. وغالبا ما كنت أمزح مع عماد وأقول إن الحل يكمن فى إقامة ثلاث دول : واحدة للمسلمين وثانية لليهود أما الثالثة فتكون دولة طبيعية .

إننى أعلم أن رفضى لن يغير الكون ولكنى رفضت الخدمة فى

الأراضى المحتلة حتى أستطيع أن أنام بالليل مرتاح الضمير ، وحتى أستطيع أن أنظر بارتياح وباحترام إلى نفسى فى المرآة . ولكن بالنسبة لحركة الضباط الرافضين فإنى أرغب فى أن تكون أكثر نشاطا وأن ترسل رسالة واضحة تدعو الناس إلى الرفض ولاتطلب فقط مجرد الدعم . إنى أدرك أن مثل هذا التصرف قد يدفع النظام لاتخاذ الإجراءات القانونية ضدنا .. المشكلة أن حركة الرافضين تخشى من التقدم إلى الصفوف الأمامية ولكنها ستظل حركة مهمشة ما لم تسمع صوتها للجميع وتدفعهم للمقاومة .

● كائنات غريبة :

ولكن دعنى أقول لك بعض المواقف التى دفعتنى دفعا للرفض.. ذات يوم كنت فى غزة ورأيت مجموعة من الأطفال .. كانوا خائفين منى .. أخذوا جانبا والتصقوا بالجدار وأنا أمر أمامهم .. ابتسمت لواحد منهم .. وفوجئت بأنه لم يرد الابتسامة .. استغرق منى الأمر بعض الوقت كى أرى نفسى فى عينيه . وعندما زرت جنوب إفريقيا رأيت نفس النظرات فى عيون الأطفال هناك . وهنا بدأت أدرك سبب امتناع هذا الطفل عن الابتسام .. ولهذا فإنى أحاول تنشئة ابنتى على القيم الديمقراطية والنظرة الانتقادية أريد أن تدرك أنها تنتمى إلى أسرة أكبر .. من مجرد اعتناقها مفاهيم عنصرية . المنهج الإنسانى فى التعامل لا يمكن أن ينتقل إلى الأبناء بالكلمات . إذا كنت ذا ميول إنسانية، فإن طفلك سيتشرب منك ذلك أيضا . وإذا لم تكن كذلك، فإن كل الكلمات فى العالم لن تكفى لأن يكون طفلك إنسانا . إن طفلتى تصادق أطفال أصدقائى الفلسطينيين ولكنى أريدها ألا تكره المستوطنين أيضا . أدرك أنهم

فى النهايـة سيتم إجـلاؤهـم عن الأراضى المحتلة وأشـعر بالأسـى تجاههم . آلامهم حقيقية .. يجب ألا ننسى ذلك .

علينا أن نتـمسك بـتفـاؤلنا .. صـحـيح من الصـعب أن يشعـر الفلسطينـيون فى قـلقيـلية مـثـلا بأى تقـدم لأن الإسـرائيليـين يحكمـونهم ولكن لنتـذكر .. قـبل عشـر سنوات كان الـحـديث عن الدولة الفلسطينيـة خيانة عظمى واليوم الجـميع يتحـدثون عنها . إننى أتحـدث عن الدولة الفـلسطينيـة مع الجـمـيع من كل فـئـات المجتـمع .. حتى مع مـؤيدى الليكود . وندرك جمـيعـا أن الصراع ليس مباراة كرة قدم يتحتم أن يكون فيـها فائز وخاسر .. القضية أننا إما أن نكسب معا وإما أن نخسر معا . فى الطبيعة البقاء دائما للأقوى ، ولكن الثقـافة تضع المساواة كقيـمة لها الأولوية .. يمكن للناس أن يقـتنعوا بأن الأمـر يستحـق أن يعترف كل منـا بالآخر كشعـبين متساويين . ومع ذلك، فـإن الطريق صعب وطويل فمنذ الصـغر يتـشرب الجـميع فكرة الخـوف من العرب والنظر إليـهم بوصفهـم كائنات غريبة لا يمكن الوثوق بهم . ولكن مع الـتجربة أدركت أنى قريب من أصدقاء فلسطينيين لى فى رام الله أكثر من قـربى من أبناء بلدى من المسـتوطنين فى كـريات أربع . أدرك أن موضوع الهولـوكوست يغزى لدى اليهود مشـاعر الخوف دائما . والسؤال كيف يمكن أن تدفع الناس إلى التـوقف عن التفكير بهذه الطريقة ؟ .. هذه قصة أخرى طويلة جدا !!

الفصل السابع

ضابط احتياط
تال بيلو



- جيش الدفاع يرتكب جرائم حرب يومية ضد الفلسطينيين
- وزير الدفاع يقول: سنقتلهم واحدا واحدا بطائرات أف ١٦
- الاحتلال يسمح لك بكل شيء من القتل حتى سرقة الأحذية
- لا سبيل أمامنا سوى التعايش مع العرب في سلام

دعونى أبدأ تجربتى مع جيش الدفاع بقصة قصيرة .. فى تلك الليلة شربت قليلا . كنا نجلس فى حفل شراب على شرف دانييل. لقد هاجر من فرنسا حتى يستطيع خدمة الوطن انطلاقا من عقيدته القوية بأرض الميعاد وأداء الخدمة العسكرية بالجيش ولكى يكون مع صديقته تالى التى تعمل فى الشؤون الاجتماعية بجيش الدفاع . فتحنا زجاجة جونى والكر أعطاها شقيق تالى لها وكنا ندخن بعض الحشيش وأذاننا مثبتة على الباب . لا يمكن أن تكون جندياً حقيقياً فى جيش الدفاع دون أن تشرب جونى والكر . كنا عائدين لتونا من رحلة إلى لندن وفور عودتنا أرسلونا للخدمة فى الأراضى .. وتحديداً فى غزة .. هل تعلم ماذا حدث لدانييل بعد سنوات .. انتحر ! ليس هناك مكان آخر مثل غزة فى جمالها ببحرها شديد الزرقة وشاطئها الرائع إضافة إلى زيتونها الشهى . ودعنى أقول لك إن زيتون غزة هو الأفضل من نوعه فى العالم . هذا الزيتون لم ينج من أعمال التجريف والتخريب التى ينفذها جيش الدفاع باستمرار فى أنحاء الأراضى الفلسطينية . أما بالنسبة عن شعورى وأنا أخدم فى غزة فأقول إننى لم أكن قويا لأنى لم أشعر بأننى أقاتل من أجل بيتى وأولادى .. وإلا ما كان دانييل قد انتحر . عندما يقتنع جندى بما يفعله يستطيع القيام بأى شىء . وسيقول "إما هو أو أنا" . ولكن الوضع لم يكن كذلك فى

الأراضى . لم يكن لدينا الحماس الذى كان لدى والدى على سبيل المثال وهو يحارب معركة الأيام الستة وحرب يوم كيبور . عرفت ذلك من خطاباته ولكنى لا أستطيع أن أكتب مثلها .

● السير مع التيار:

بالنسبة لوالدى ووالدتى فقد كانا يحبان إطاعة الأوامر وكانا دائما يقولان "فكر فيما تريد ولكن أذهب مع التيار". هكذا نشأت. لم أنشأ بإحساس أنى يهودى شرقى بل كانت هويتى أنى إسرائيلى . ورغم تاريخ والدى، فإنهما ربيانى على أن أكون إسرائيليا أولا وأخيرا . وعندما أقول إنى لم أشعر بأنى من السفرديم أقصد أننى كنت أتصرف مثل اليهود الغربيين (الاشكيناز) فعلى سبيل المثال كنت أعزف على البيانو وليس العود التى تعتبر آلة موسيقية شرقية صميمة . لقد ندمت على ذلك لأنى كنت عازما على تعليم أولادى التحدث بالعربية والعزف على العود. فهذا مهم لى فى حياتى السياسية . ومنذ طفولتى كانت لى ميول تجاه اليسار فقد التحقت بمنظمة شبابية صهيونية يسارية . ثم التحقت بالجيش وأثناء خدمتى الإلزامية كونت صداقات مع فلسطينيين من قلقيلية ورم الله وبيت جالا . وما زالت صداقاتى مستمرة معهم حتى اليوم . واليوم وفى ظل الأوضاع بالغة السوء فى الأراضى نتحدث عبر الهاتف طوال الوقت .

وعندما قررت رفض الخدمة فى الأراضى لم يكن والداى راضين عن قرارى . ولكن الجو العام فى منزلنا كان منفتحا .. نحن أربعة إخوة وأخوات كل واحد منا له الحرية التامة فى أن يفعل ما يشاء دون لوم أو توبيخ من الباقين . والدتى لا تكره العرب . إنها تريد السلام ولا ترى أن العرب شياطين يتحينون

الفرصة لتدميرنا . كان موقـفها مشابها لموقف اليهود الألمان الذين يرون أن الألمان ليسوا كلهم نازيون ويـجب حظر اللغة الألمانية فى البيت . لم تكن تهتم بتحقيق العدل بقدر اهتمامها بتحقيق السلام . وكان كل أفراد أسرتى يهودا متدينين.

وفى الحقيـقة لم أشعر بأنى مرتاح تمامـا تجاه قرارى برفض الخـدمة .. فكرت فـى والدى الذى لم يرفض الخدمـة من قـبلى .. لم أكن أرغب فى أن أتصرف بما يناقض رغباته لأنه رجل حساس لم يؤذ أحدا عمـدا أبدا . وفى المقابل لم أكن أشعـر بالارتياح تجاه ما تعانيه أسر أصدقـائى الذين يقتلون أثناء خدمتهم فى الأراضى وكنت خائفا من مواجهتهم . كما أننى لا أفضل اللهجة الحادة التى وردت فى خطاب حركـة الضباط الرافـضين ، رغم أننى أدرك أن اسماع صوت هؤلاء الضباط يحـتاج إلى نوع من التحرك السريع والصوت العالـى . ولكنى أود أن تحل هذه الحركة نفســها بهدوء فور التوصل إلى تسوية دائمة للنزاع .

● الأرض المقدسة :

وهناك قضيـة المستوطنات وهى فى غاية التعـقيد .. وأنا لا اتفق مع القائـلين إننا نخوض حربـا من أجل السلام فى المسـتوطنات .. فالمسـتوطنات لا بد أن يتم إخلاؤها ولكن علينا أن نتـذكر إننا لسنا هناك فقط من أجل المسـتوطنات . لقد قـال رئيس الأركان إننا هناك لأسباب أمنية . أما اليهـود المتشددون، فإنهم يقولون إننا هناك لأنها أرض اليهـود المقدسة . وكـلا الزعميـن دفعانى إلى رفض الخـدمة لحراسة هذه المستوطنات . ولاشك أن إخـلاء المستوطنات أمر مؤلم ولا بد أن يكون لدينا خطة مسـبقة لاسـتيعاب سكان المسـتوطنات ولكن على المدى الطويل سيعيش هؤلاء المستوطنون حياة أفضل .

● جرائم حرب :

إننى أشعر بغضاضة أيضا تجاه كثير من الجنود الذين يقولون إنهم من الرافضين ولكنهم يواصلون الخدمة فى الجيش . إنهم يقولون إننا نؤدى واجبنا ولا نرتكب جرائم حرب . ولكنك إذا كنت هناك فإنك سترتكب جرائم حرب .. سواء رضيت أم لم ترض . لا أستطيع أن أزعم بأنى من دعاة السلام وفى الحقيقة أنا أريد مواصلة الخدمة فى جيش الدفاع إذا تجنب ارتكاب جرائم الحرب ولكن ذلك مستحيل . والحقيقة أن الضباط والجنود لايريدون إلحاق الأذى بالمدنيين عمدا .. ولكن عندما تكون هناك سيارة إسعاف فأنت لا تعلم أن كان بداخلها إرهابى أم امرأة حامل على وشك الوضع .

لقد أمضيت فترة الاحتياط طوال السنوات الثمانى الماضية . وفى آخر فترتين نجحت فى تجنب الخدمة فى الأراضى بالقيام بمهام أخرى . كما أننى بذلت كل ما أستطيع من جهد حتى لا أدخل السجن. وكان بإمكانى أن استمر فى تجنب الخدمة بالأراضى بتقديم إعفاءات طبية مزورة مثلا .. ولكنى قررت أن أرفض مرة واحدة ونهائيا . وإذا كان الأمر يتعلق فقط بمدى الضرر الذى يلحق بالعرب فربما لم أقرر الرفض ولكن الدافع الأساسى لقرارى هو أن هذا الواقع الحالى يلحق الضرر بى أنا أيضا . أنا لست سياسيا .. وعندما أقول إنى أرفض إطاعة الأوامر فإننى انطلق من تجربة شخصية بحتة . خلال السنوات القليلة الماضية شعرت بالخزى والعار تجاه ما يحدث . ولا يمكن إلا لمن يكون هناك أن يدرك ما أقصده . فكيف لك أن تشرح لنفسك كيف يعيش أناس على بعد مائة متر من هنا فى قاع الجحيم . لقد

سمعت أناسا يقولـون "وماذا يمكن أن نفعل نحن .. لقد ألقى بهم قادتـهم فى هذا الوضـع .. إنها ليـست مسـؤوليتنا .. نحن شـعب مـحـب للسـلام .. أعطـيناهم كل شىء .. لم يـقـبلوه .. قــادتهم لا يريدون السـلام .. لذا دعهم يذهبـون إلى الجحـيم " ! ولك أن تتـصور أن هذه الأقـوال على سخـفهـا يرددها أكثـر اليسـاريين ليبرالية .. وهو المناخ السائد هذه الايام .

• سنقتلهم واحدا واحدا :

سمـعت وزير الدفـاع يقول "سنقـتلهم واحدا واحـدا بطائرات أفـ١٦ .. وإذا أحدثت الطائرة دمارا شاملا فإنه سيكون أمرا سيئا ولكن مـاذا يمكن أن نفـعل تجـاه ذلك ؟ " . وعندما سـمـعت ذلك أقشعر بدنى من الخوف . لقد أصـبحنا أشرارا . إذا كان قادتنا قد فـعلوا مـا يجب من أجل حـمـاية جنـودنا من الموت ولم تقـصف الطائرات المدن الفلسطينية ولم يبـق للفلسطينيين أى عذر لتفـجير أنفسهم فى مدننا، فإننى ما كنت رفضت الاستمرار فى الخدمة.

وبالنسبة للمواقف التى دفعتنى إلى الرفض فإنى أتذكر تجمعا ضخمـا أثناء الانتفاضة الأولى (تجدر الإشارة إلى أن الانتـفاضة الأولى لم تكن مسلحـة وخاصة فى مراحلهـا الأولى) . كان آلاف من أنصار حماس وفتح ينظمون مـسيرة حاملين أغصان الزيتون ونحن ننظر إليـهم من داخل عـربة جيب .. بدا الأمـر وكأنه فـيلم سينمائى حتى مـر آخر واحد من المتظاهرين وقال "إذا لم تعطونا السلام فإننا سنعرف كيف نتعـامل معكم." كان الأمر يبدو وكأنه مباراة بين جانبين "فريق الطيبين الأخيار" وفريق الأشرار الذين يرشقونـا بالحجارة .. ولكنى أتذكر كـيف تصرفت مع رجل يبلغ من العمر ٤٠ عاما عندما أمرته بأن يتسلق عامود إنارة لإزالة علم

لمنظمة التحرير الفلسطينية . أتذكر كيف احتجزته ثم هددته بالبندقية أن يتسلق عامود الإنارة وفى المرة الثالثة نجح وأسقط العلم الفلسطينى .. إنى واثق أن هذا الرجل أن كان معه أولاد حاليا فلا شك أنهم انتحاريون .. أو على الأقل هناك احتمال أن يكونوا كذلك . إننا لم نفعل ذلك مع هذا الرجل فقط بل هو روتين يومى للجنود فى الانتفاضة الأولى . كانت منظمة التحرير عدوا ولم تكن شريكا فى الحوار .

• مهام تافهة جدا :

إنه ضرب من الجنون .. فكر فى هذه المهام .. إنها مجرد إنزال علم وليس تطبيقا للقاعدة التى تقول "الشخص الذى يتقدم نحوك ليقتلك بادر بقتله " .. كان هذا هو العمل الروتينى لنا .. يرفع الفلسطينيون أعلامهم ثم نحتجزهم ونجبرهم على إزالتها . يصعب علىَّ الآن أن أتذكر إلى أى مدى كنت أعمى آنذاك. سأشعر بالإحباط الشديد إذا فعل أطفالى اليوم ما كنت أفعله فى تلك الأيام. الناس هنا لا يفهمون ماذا يعنى تجريف بستانك أمام عينيك.. أو احتجازك بدون محاكمة .. أو أن يقولون لك "إننا سنقتلك لأننا قررنا أنك خطر على الأمن" .. حتى إذا كنت الشخص غير المقصود وأن ذلك مجرد تشابه أسماء !! ثم ماذا يقولون بعد أن يفعلوا كل ما يفعلونه .. كل ما يقولونه "آسفون .. يحدث ذلك أحيانا" !

• مذبحة جولدشتاين :

هناك مثل صينى يقول "هؤلاء الذين يأكلون .. لايفهمون مشاعر الجوعى" .. والإسرائيليون مقتنعون بأن الفلسطينيين

مبرمجون على كراهيتـهم .. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة .. فهو أكثر تعـقيدا وإن كان السبب الرئيسى لما يفـعله الفلسطينيون من تفجـيرات انتـحارية هو أننا دفـعناهم إلى وضـع مأسـاوى بائس شـعـروا فـيـه بأنه ليس لديـهم مـا يخـسـرونه. ومع ذلك فـإن الإسرائيليين مـقتنعون بأن العرب يكرهونهـم .. وأن هذا التشويه المتعمـد يخدم أهداف الجيش والسياسيـين سواء كانوا من الليكود أو العمل.

وبعد المذبـحة المروعة التى ارتكـبها باروخ جـولدشتـاين ضد مـصلين وقتل ٢٩ منهم وهـم سجـودا رأيت الدماء والجـثث التى تناثرت فى هذا المكان الرائع المقدس وما زال صوت أبواق سيارات الإسعـاف يدوى فى أذنى حـتى اليوم .. لا أسـتطيع أن أصف لك ما حدث . كان ذلك عشية عيد بوريم (أحد الأعياد اليهودية) . فى اليـوم التالى وصلت إلى مـقر الكتـيبـة وكان الجـميع سـواء من اليسار أو اليمين كانوا مصدومين . وقفنا أمام جهاز تليفزيون فى الكتيبة نستمع إلى أحـد مقدمى البرامج وهو يقول "أولا وقبل كل شىء نتمنى لشعب إسرائيل عيدا سعـيدا "! لقد سمعته ثم فكرت وقلت لنفسى .. ألم يفهم أنـه ليس عيدا سعيدا لأن مـأساة وقعت وهى ليست مـأساة للعرب فقط .. بل لكل من شـاهد هذه المأساة المروعة .

• إنهم يسرقون الأحذية !

سـأحكى لكم موقـفا مـؤلما آخر .. كـان لى صديق يخـدم فى وحدة دوفديفـان (كتائب الإعدام) واتصل بى ليخبـرنى كيف قام مع رفاقه بتـفتيش منزل فلسطينى. ووجد حذاء على مـقاس قدمه فأخذه .. وفى الواقع يحـدث ذلك كثيرا فى وحـدته .. وعندما عاد

إلى المنزل وأخبر والدته قالت "كيف تلبس حذاء عربيا على أرض إسرائيل"؟! .. لقد انزعجت الأم لأن الحذاء يخص شخصا عربيا.. ولم تقل له "لماذا سرقت الحذاء .. لا بد أن تعيده لصاحبه"!! إنني أعرف هذا الشاب جيدا فلم يسرق أبدا طوال حياته ولكن الاحتلال يعطيه رخصة لأن يفعل أى شيء حتى سرقة الأحذية . فأنت تسمح لنفسك بضرب العرب .. وأنا فعلت ذلك أيضا .. لا تدرك إنك تتحلل داخليا وأنت تقوم بمثل هذه الأعمال التى تصل إلى حد سرقة حذاء أو كاميرا لا تدرى ماذا ستفعل بها .

وتبقى مشكلة رئيسية .. إنها تتعلق بالمفاهيم الدينية التى يعتنقها كثير من اليهود وخاصة المستوطنين .. فهم يؤمنون بأن الرب منح هذه الأرض لهم فقط دون غيرهم .. وعلى الجانب الآخر فإن المسلمين يعتقدون العكس تماما .. ولكن فى الواقع ، ليست هناك حقيقة مطلقة فى هذا الأمر .. فمَنْ يروى الحكاية هو الذى يحدد الحقيقة ولا شك أنه يضعها فى صفه . ولكن بالنسبة لى فإن غزة التى خدمت بها كثيرا أراها أجمل مكان فى العالم .. إنها ساحرة .. فعندما تنظر إلى العالم من خلال أشجار الزيتون وزرقة مياه البحر، فإن كل ما تتمناه هو أن تعيش وتدع الآخرين يعيشون فى سلام . إننى لا أريد أكثر من حقى فى الحياة أن آكل وأشرب وأرقص وأقرأ .. أعتقد أننا فى حاجة للتعايش مع العرب.. ولكن ليس على طريقة اتفاقات أوسلو .. فهذه الاتفاقات كانت تفترض تقسيم الأرض وأن نعيش بجوارهم ولكن لا يرى أحد منا الآخر .. هم هناك فى دولتهم ونحن هنا فى دولتنا .. وقد يرى البعض أن ذلك حلاً مثالياً ولكنى أراه بلا معنى . حلمنا أن نعيش فى هذه المنطقة وإذا لم نتعلم كيف نتعايش مع العرب، فإننا لن

نستطيع العيش هناك . سنظل نعيش فى خوف دائم . نعيش وسط دول عربية لديها لغتها وثقافتها وموسيقاها وتقاليدها المميزة .. إننا لا نعيش فى أوروبا أو أمريكا.. خوفنا من العرب هو خوفنا من الآخر .. فكرة أنهم يريدون أن يدمرونا فكرة مضللة .. ليس هناك شر مطلق وحتى لو كان، فإن ذلك لاينطبق على العرب وحدهم .

● كلهم ضحايا :

ولكنى بالطبع لن أهاجر من هنا ، إذا ظلت الدولة الإسرائيلية تعرف نفسها على أنها دولة يهودية وليست دولة لكل مَنْ يعيش على أرضها ، وإن كان ذلك أمر غير واقعى فى عالم اليوم . إننى انظر إلى الناس كطبيب ليس فقط عندما يكونون مصابين .. إنها مهنتى ؛ العناية بالناس وأن أفعل ذلك وأنا أتعاطف معهم .. القيام بمهمة الطبيب دون تعاطف مع المريض أمر خطير للغاية .. ليس من الصعب عليك أن تتعاطف مع مصاب سواء كان هذا المصاب جنديا زميلا لك أو فلسطينيا .. ولكن متى يكون ذلك أمرا صعبا؟.. عندما تقسم العالم إلى قسمين وتقول أنا أحب هذا وأكره ذاك .. ولكن فى الحقيقة كلا الجانبين ضحايا وأنا لا أريد أن أقول أيهما يعانى أكثر من الآخر .

الفصل الثامن



السيرجنت
ايشاى روزن زيفى

- المسيح لن يعود .. وحكاية شعب الله المختار عفا عليها الزمن !
- الحق المطلق فى هذه الأرض أسطورة .. والله خلقهم كما خلقنا
- قادة جيش الدفاع ساديون يمارسون التخريب والتدمير بنشوة غريبة
- نحن نغذى الإرهاب ونفرخ الانتحاريين ثم نحمل عرفات المسؤولية
- لايمكن أن نمارس إذلال الفلسطينيين عند نقاط التفتيش بالإتيكيت !
- الحديث عن السلام واستمرار بناء المستوطنات نصب واحتيال

ايشـاى روزن زيفى (٣٠ عـامـا) أب لثـلاثة أبناء .. نشـأ فى تل أبيب والآن يعيش فى جيفات شمويل القريبة من تل أبيب . يعد ايشاى حاليا لدرجة الدكـتوراه فى التاريخ والدراسات الدينية فى معـهد كوهين للتـاريخ والفلسفة والعلوم بجـامعة تل أبيب . كـما يعمل باحثـا فى معهد هارتمان بالقدس الذى أصـبح مركزا فكريا لبحث الأفكار السـياسيـة المثيرة للجـدل فى إسرائيل خلال العـقد الماضى إلى جانب معهد فان لير .

وكان البروفـيسور اربيل روزن زيفى والد ايشـاى أستاذا فى مدرسة القانون بجامعة تل أبيب وممثـلا بارزا للحركة الصـهيونية ذات الميول اليساريـة. وبوصفه ناشطا فى حركة نيتـيفوت شالوم وهى حركـة يسارية دينيـة كافح البروفـيسـور روزن زيفى ضد المؤسسة الدينية وتحدث كثيرا عن الممارسات الظالمة للاحتلال فى وقت لم يكن مـقبولا فـيه أبدا الحـديث عن مثل هذه الأمـور. عمل ايشاى فى غزة أوائل التسعينات فى الأيام الأولى للانتفاضة وقبل توقيع اتفـاقات أوسلو . كان مجندا فى ذلك الوقت بنظام التـجنيد الإلزامى ، ومنذ ذلك الحين تولد لـديه الشعور الذى أيقظ ضمـيره ودفعـه فى نهاية الأمـر إلى رفض الخدمة فـى الجيش . ورغم أن كثيـرا من مواطنى غزة مازالوا يعمـلون فى إسرائيل ، فإن وضع

غالبية الفلسطينيين ازداد سوءا بعد توقيع اتفاقات السلام . ويرجع ذلك إلى أنه بينما حل الحكم الفلسطيني مكان الحكم الإسرائيلي المباشر إلا أن الانسحاب الإسرائيلي من القطاع كان صوريا . فقد منع الفلسطينيون من العمل في إسرائيل والانتقال إلى الضفة الغربية . ومنذ توقيع اتفاقات السلام تم إحلال العمالة الفلسطينية بعمال أجانب .

● الهدف إنهاء الاحتلال :

خدم ايشاي في وحدة لقوات المدرعات . وعلى مدى عشر سنوات كاملة كان ايشاي يخدم في الأراضي المحتلة ويشهد بعينيه آثار الاحتلال . وحتي رغم أنه لم يكن غافلا عما يحدث أمامه إلا أن الأمر تطلب منه وقتا حتي يعلن رفضه إطاعة الأوامر . ومنذ عام رفض ايشاي تنفيذ الأوامر عندما استدعى لقضاء فترة الاحتياط في الأراضي المحتلة ، الأمر الذى كلفه قضاء أسبوعين في السجن العسكرى . وعندما أعلنت حركة الضباط الرافضين للخدمة في الأراضي الفلسطينية المحتلة انضم إليها ايشاي ووقع وثيقة الرفض وأصبح عضوا نشطا فيها منذ ذلك الحين وحتى اليوم.

ورغم ما يبدو على وجه ايشاي من ملامح طفولية إلا أن بريق عينيه ينبيء عن تناقض واضح مع ما يعتمل في نفسه من أفكار تقدمية يغمرها حماس جارف وهو ما يظهر واضحا في كلامه . فمن ناحية يعتمد كلامه على تحليل عقلاني رزين للواقع ومن ناحية أخرى تعلو نبرة صوته مدفوعة بسيل جارف من الحماس لما يؤمن به من أفكار . هذا التناقض المثير يعكس نشأته في حركة

بناى اكيفا وهى منظمة صهيونية قومية دينية للشباب .. وإن كان ايشاى يفضل عدم الحديث عن نفسه وعن أفكاره بقدر ما يميل إلى الحديث عن الواقع وتحليل ما يراه من أحداث. يضع ايشاى على رأس قائمة اهتماماته إنهاء الاحتلال دون النظر الى ما وراء هذا الهدف من تداعيات على الأقل فى الوقت الحاضر . ويظهر قلق ايشاى على مجتمعه فيما يعترى صوته من توتر ظاهر .. فمعظم طاقاته الذهنية والعاطفية موجهة إلى أبناء شعبه . ورغم أن معاناة الفلسطينيين تروعه إلا أن قلقه على مواطنيه من الإسرائيليين كان يفوق إحساسه بالألم تجاه الفلسطينيين . ولذلك فإن قراره بالرفض نبع أولا وقبل كل شىء من شعوره بالمسؤولية تجاه شعبه.

وعلى عكس غالبية الرافضين ينتمى ايشاى الى حركة صهيونية دينية يرتدى أتباعها غطاء الرأس اليهودى المعروف باليرمولكه . كما أن غالبية أتباع هذه الحركة من المستوطنين .. ولكن ايشاى ينتمى الى معسكر صغير داخل هذا المعسكر الأكبر الذى يعرف بالمستوطنين المتدينين . ويعيش كثير من أقاربه فى المستوطنات .. زوجته التى تدرس الدكتوراه فى الفيزياء ابنة أخ عضو فى خلية يهودية إرهابية متطرفة فيما يسمى بالحركة السرية اليهودية . وعمه شارك فى مؤامرة لتفجير المسجد الأقصى والحرم القدسى بكل ما فيه من مقدسات وحرض على قتل الطلاب فى الكلية الإسلامية فى الخليل . كما عاش ايشاى نفسه فى مستوطنة لفترة كطالب . ولكن ايشاى اتخذ لنفسه خطا فكريا مغايرا تماما لكل ما تعلمه فى المستوطنة وفى الحركة

الصهيونية الدينية وهو ما جر عليـه نقمة كل مدرسيه وحاخاماته وأصدقائه .

كانت هذه هى تفاصيل الظروف التى أحاطت بنشأة السيرجنت ايشاى روزن زيفـى .. ورغم الاستغـراق فى عرضـها إلا أن ذلك كان ضروريا لإظهار قمة الـتناقض بين يهودى نشأ فى بيئة تمثل قمة التطرف الدينى والقـومى بل وينتمى إلى الحركة الصهـيونية ذاتها ومـجتمع المستـوطنين بكل تطرفه ويلبس اليـرمولكه إلا أنه اختار الاسـتجابة لصوت العقل وصيـحة الضمير لبشـاعة ما رآه بأم عينيه من فظاعات ضـد الفلسطينيين فى الأراضـى المحتلة على أيدى جيش الدفاع ورفاقه من المستوطنين .. وها هو يقدم شهادته بالكامل .. ويقول :

• إتيكيت الإذلال :

فى غزة شاهدت أناسا يعيشـون فى فقر مخجل . كنت لا أطيق متـابعة أوضاعهم . عند نقـاط التفتـيش ينظرون إليك فى خوف . كـانوا ينتظـرون سـاعـات حـتى نسـمح لهم بالمـرور للعـمل فى إسرائـيل. وكان مـرورهم يتوقف على مـزاج الجندى الواقف عند الحاجـز فى هذا اليوم . إنهم ينظـرون إليك بعيون مـلؤها الخوف المغـموس فى مـاء الذل والهوان. بـعضـهم كان فى سن أجـدادى لا أدرى ماذا كنت سأفعل إذا شهدت والدى فى وضع كهذا . ولن أنسى عيون الأطفال وهى ترى الآباء والأمهـات يتعرضـون لشتى صنوف الإذلال والامتـهان أمامهم عند نقـاط التفتيش والحـواجز الأمنيـة . لقد أدركت تدريجـيـا أن مهـمتى هى ضـمان أن يبـقى الفلسطينيـون على هذا النحو إلى الأبد . حـاولت بقدر الإمكان أن

أكون إنسانا فى تعاملى معهم ولكن المسألة لم تكن قضية اتيكيت.. فمهما حاولت أن تكون إنسانا فإن ما تقوم به - بغض النظر عن الطريقة التى تتعامل بها - له هدف واحد هو حرمان هؤلاء الناس من حريتهم . بدأت أشعر بعدم الارتياح تجاه ذلك ، ثم تحول هذا الشعور إلى إحساس بالفصام (الشيزوفرينيا) وعندما كنت أذهب من تل أبيب إلى غزة كان الشعور الذى يسيطر على ذهنى هو ذلك الدور الذى يمثله هايد و د. جيكل . ولكنى لن أتحدث عن هذا الأمر لأنى لا أستطيع .

● **قادة ساديون :**

لن أستطيع تقديم نماذج عما كان يحدث لأنهم كانوا يعمدون إلى طمس المعايير .. بمعنى آخر إذا حاولت ان تكشف عن حادثة بعينها ، فإنها تقدم على أنها استثناء للقاعدة . وهذا بالضبط ما لم أكن مستعدا للقيام به . أريد أن أناقش المعيار أو السبب الذى يدفع الآخرين إلى حرمان شعب من حقوقه . هناك فى الجيش قادة كثيرون يمكن أن تطلق عليهم ساديين أنهم يستعذبون صراخ الضحايا ويشعرون بنشوة غامرة وهم ينفذون أوامر اقتلاع أشجار الزيتون وتدمير بساتين الكروم أمام أعين أصحابها التى تحجرت بها دموع التوسل . بل إن مثل هؤلاء القادة الساديين لا يكتفون بتدمير البستان المقصود ولكنهم يدمرون البستان المجاور خشية أن تصدر المحكمة العليا غدا أمرا بمنع تدمير بساتين الكروم !! ولكن القضية ليست فى هؤلاء القادة الساديين بل فى القادة اليساريين الذين ينفذون أوامر الهدم والتجريف والتدمير دون إحساس بالنشوة ولكن دون أسى أو ندم أيضا .

أنهم يفعلون ذلك لأنهم حسب ظنهم ينفذون الأوامر وهم بذلك مضطرون للقيام بذلك حتى لو لم يكونوا راغبين فيه .. لأن أحدا غيرهم سوف يفعلها أن رفضوا هم القيام بالمهمة . كما أن القضية الأساسية هي هؤلاء الفلسطينيين الذين يعيشون مثل الكلاب دون ممارسة حقوقهم الأساسية على مدى عقدين من الزمن . اليوم حان وقت الكشف عما يحدث هناك وبالتفاصيل بقدر الإمكان .. لماذا ؟! لأن رفض الخدمة في جيش الاحتلال اليوم بات أمرا ملحا أكثر من أي وقت مضى .

● **حكاية الإرهاب :**

قد يقول البعض "لا تخبرني عما يحدث هناك ولا تقل لي كم فلسطيني يموت جوعا في الوقت الذي نعاني فيه التفجيرات الانتحارية هنا " ولكن هذا التفكير لا يتسم بالبراءة . فالبعض يريد أن نعتقد أن تجويع الفلسطينيين لا علاقة له بما نحن فيه . على العكس أنا أرى أن الوطنية الحقيقية تتجسد في رفض الاحتلال . ولابد أن يعرف الإسرائيليون كل شيء عما يجرى في الأراضي المحتلة .. ولكن السؤال هو : ماذا يعرف الإسرائيليون عما يجرى هناك وما هو الشيء الذي يرغبون في معرفته وما هو الشيء المسموح لهم بمعرفته ؟ الأمر يتعلق بعدم الرغبة في معرفة الطرف الآخر وعدم معرفة ما يعرقل قدرتنا على احتواء الإرهاب والدوافع التي تحركه. لا يمكنك شن حرب على الإرهاب دون أن تعرف كيف يعمل هذا الإرهاب . ومن ثم ، فإن الظلم المروع الذي نلحقه بالفلسطينيين ليل نهار عنصر أساسي في فهم ما يحدث .. بل هو أمر ملح خاصة عندما يطغى ضجيج الحديث عن الأمن

القومى ويخرس ألسنة كل المنتقدين وكل المناقشات النقدية لما يحدث . هذا الحديث عن الأمن القومى يبرر كل الأفعال والجرائم التى ترتكب بكل بشاعاتها التى تفوق التصور . ومع هذه الجرائم اليومية أصبحت حياة الفلسطينيين لا تساوى شيئا .. وبعد انتهاء كل يوم يتم تبرير كل ما حدث باسم الأمن ويدرك كل جندى أن ما يجعل كل هذه الفظائع ممكنة هو أنهم "مجرد عرب" !

لم يحدث أن أزيل منزل مستوطن واحد "لأسباب أمنية" ولم تقتلع شجرة واحدة لمستوطن باسم الأمن . ولكن عندما تهدم صفا وراء صف من منازل الفلسطينيين وتقتلع أشجار آلاف من أفدنة الزيتون وبساتين الكروم المملوكة للفلسطينيين لمجرد أنها تحجب الهواء النقى عن المستوطنين فهى ليست مشكلة .. فهل هذا عدل ؟!

● سياسات مدمرة :

ومنذ أن قام الجيش بإعادة احتلال المدن الفلسطينية فى مارس ٢٠٠٢ شهدت الساحة الإعلامية طفرة فى الحملات المؤيدة للدولة أكثر من أى وقت مضى .. كان الهدف واضحا وهو أن شن حملة دعائية منظمة أمر فى غاية الأهمية لتبرير حرب مجنونة لا هدف لها . وهنا تتجلى براعة رئيس الوزراء ارييل شارون الذى أدرك أن الضجيج الإعلامى هو خير وسيلة لإسكات أصوات المعارضين والمنتقدين لسياساته المدمرة . ومن ثم ، فإن واجبنا هنا كرافضين هو فضح هذا التلاعب . كان دخول المدن الفلسطينية من جديد يستهدف تحييد الإسرائيليين وشل قدرتهم على التفكير فى البدائل. وغلبت نغمة الانتقام على لهجة الخطاب الإعلامى

وأصبحت العبارات المستخدمة هي من نوع "كان لا بد أن نفعل شيئا" .. "سنريهم مَنْ هو السيد" .. "سوف يضعهم جيش الدفاع في مكانهم" .. هذا هو منطق الثأر وفكر الانتقام . ولكن جيش الدفاع لم يكن قادرا على أن يريهم أي شيء . فقد كان الجيش قادرا على التخريب والتدمير والهدم ولكن في النهاية ما هي النتيجة ؟ ببساطة يمكنك هزيمة جيش ولكن كيف تهزم شعبا ؟! وكيف تجبرهم على الرضوخ لكل صنوف العذاب والهوان والقمع تحت ظل الاحتلال دون المطالبة بحقوقهم الأساسية ؟!

• إنهم يكرهوننا :

وعندما نتحدث عن المظالم التي ترتكب في الأراضي المحتلة فإن الناس يسألوننا "أين تعيشون .. ألا ترون التفجيرات الانتحارية كل يوم .. مَنْ يهتم بالمجندات الواقفات عند الحواجز الأمنية ؟! " ودعنا نناقش الأمر بهدوء .. بالنسبة للتفجيرات الانتحارية ، فإنها لم تأت من فراغ . إنهم يكرهوننا وأنا لا أرى أي مفاجأة في ذلك . بل نحن نستحقه . حاليا زادت التفجيرات الانتحارية بشكل ملحوظ . قبل سنوات قليلة كان أقل من ٢٠ في المائة من الفلسطينيين يؤيدون التفجيرات الانتحارية. أما اليوم فمن الصعب أن تجد أي شخص يمكن ان ينتقدها . والسؤال ماذا حدث ؟ هل تغيرت "عقلية العرب" ؟! وهل وقع الجميع فجأة في غرام التطرف الإسلامي ؟ أن بنيامين نتنياهو ورفاقه يريدون منا أن نرى الإرهاب وكأنه قدر نزل علينا من جانب الإسلام وكأنه شيء أطلقته علينا قوى دينية خفية . إنهم يبعدوننا عن فهم البعد

الاجتماعى لهذه الظاهرة ودورنا نحن فى تطورها . ولكن لا بد من التأكيد بوضوح على أن سياسات الحكومة الإسرائيلية تمثل تربة خصبة لنمو المفجرين الانتحاريين . باختصار نحن ننتج الإرهاب . والسؤال الذى يطرح نفسه هو : مَنْ ذا الذى يمتلك عقلاً سليماً ويعتقد أن مزيدا من الدمار والقتل وامتهان كرامة البشر يمكن أن تساعد فى كبح الإرهاب ؟!

إن اليمين المتطرف يتحدث عن الحل العسكرى الشامل .. وبمعنى آخر أن الطريق الوحيد لهزيمة شعب محتل هو تدميره أو طرده . بالنسبة لهؤلاء المعادلة فى غاية البساطة .. وهى ما دمنا هنا ، فإن ملايين الناس يتعين عليهم أن يعيشوا دون حقوق . ونحن الرافضون نحذر ونقول إن أى حل عنيف لن يكون حلا . فالقوة تولد العنف والعنف يقود إلى قوة والقوة تولد عنفا أشد .. وهكذا . إنها ليست حربا من أجل وطننا . إنها حرب استعمارية للإبقاء على الاحتلال . ولذلك ، فإن هذه الحرب محكوم عليها بالفشل .. لقد رأينا هذا السيناريو فى أماكن أخرى فى الجزائر وجنوب إفريقيا مثلا وفى أماكن أخرى.

● تشابه صارخ :

لقد قابلت أحد البيض فى جنوب إفريقيا الذى كان من أوائل مَنْ رفضوا الخدمة فى الجيش أثناء نظام الفصل العنصرى هناك . ولا بد أن نذكر أن عقوبة الرفض هناك كانت السجن سبع سنوات وهى فترة طويلة نسبيا مقارنة بالعقوبة المطبقة عندنا وهى ٢٨ يوما .. أما التحريض فكانت عقوبته الإعدام . ولكن هذا الرجل الأبيض أمضى عامين فى السجن فى أوائل الثمانينات حتى حصل

على عفو وأفرج عنه . لقد حكى لنا قصته مع نظام الفصل العنصرى وكان التشابه بين ما حدث هناك وما يحدث عندنا فى إسرائيل صارخا الى حد الصدمة . فقد كان الرفض هناك أيضا أمرا مرفوضا من جانب المجتمع على نطاق واسع .. وكانت التعبيرات المستخدمة هناك أيضا تقول "لابد من قمع الإرهاب" .. "إذا أعطيناهم دولة (أى السود) سوف يلقوا بنا فى البحر"!! ولكن هذا الرجل وعدد من رفاقه رفض الخدمة فى الجيش لأنه لم يكن راغبا فى التواطؤ مع نظام الفصل العنصرى فى بلاده . لقد كانوا يدركون أنها حرب خاسرة ولا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية .. والأهم من ذلك أنهم كانوا يعتبرونها أمر محرم. فهل هؤلاء البيض الذين رفضوا الخدمة فى جيش الفصل العنصرى ساهموا فى إضعاف قوة مجتمعهم ؟! لا يساورنى أى شك فى أنهم أنقذوا بلدهم .. إن أفضل سبيل لخدمة مجتمعك هو ألا تساهم فيما يرتكب من مظالم .

وبالنسبة لى أنا كان السؤال الأكثر أهمية هو : ماذا يأكل الفلسطينيون ؟ الآن هم يعيشون تحت الحصار وممنوعون من العمل لأكثر من عام ونصف العام ؟! لا يمكنك أن تبنى روحا وطنية على الظلم . ولن ترتفع روحنا الوطنية إلا بعد الانسحاب من الأراضى. أما الحديث عن المشاعر الوطنية ، فلن يكون سوى محاولة لتجريم أى صوت منشق عن الصف تماما مثلما نستخدم معاداة السامية وسيلة لتجريم أى انتقاد للحكومة . إن الشرط الوحيد لحل هذا النزاع هو إنهاء الاحتلال . ولكن هل نحن فقط مسؤولون عن هذا الوضع ؟ بالطبع لا . ولكن ليس هناك تطابق

بين المحتل والخاضع للاحتلال . التبعة تقع على المحتل لأخذ زمام المبادرة ودفع مسيرة التفاوض وتقديم أكبر التنازلات.

● عرفات هو السبب ؟!

إن التركيز على أن عرفات هو السبب فى كل الكوارث التى حلت بالفلسطينيين يمثل خطيئة كبرى لوسائل الإعلام . فمثل هذا الأمر يلقى باللوم كله على الرئيس ويبرىء المحتل . ويظهر الحرب وكأنها صراع قوة بين إسرائيل وعرفات ولكن كيف يرى طفل فى قلقيلية تلك الحرب التى يشنها جيش الدفاع ؟ فبعد أشهر من الحصار والتجويع يرى الطفل أشقاءه من سن ١٤ عاما فأكثر يعتقلون فى عمليات مداهمة يومية ويرى أيضا بيته يقصف بالقنابل من أجل أن يتمكن جنود جيش الدفاع من تفتيش منزل مجاور .. وهنا تجد وسائل الإعلام ضالتها فى تغطية أنباء "العمليات العسكرية" وتسهب فى إذاعة البيانات التى يلقيها الانتحاريون قبل تنفيذ عملياتهم .. كل ذلك من أجل تصوير الأمر وكأنه حرب متكافئة بين جيشين !!

وبعد أن رفضت الخدمة انقلب علىّ كل الحاخامات والمدرسين الذين أتعلم على يديهم وقالوا لى أنت بذلك تريق دم آخرين . وأقر بأن هذا الأمر كان صعبا بالنسبة لى ولكن أريد أن اسأل كل هؤلاء المعلمين ورجال الدين أصحاب الفضيلة والأخلاق .. "متى شعرت آخر مرة بأنك جوعان؟ متى وقفت تحت أشعة الشمس الحارقة عند نقطة تفتيش فى انتظار السماح لك بالعبور ؟ متى قام جيش أجنبى بغزو منزلك واقتحام غرفة نومك وحبسك مع أطفالك فى ركن من المنزل لحين انتهاء تفتيشه ؟ وهكذا فى كل

مرة أتعرض فيها لسيل من الانتقادات ، فإنى أستحضر أمامى كل تلك الصور المروعة التى رأيتها بعينى على مدى سنوات . إن هناك عشرات الآلاف من البشر المحاصرين فى القرى والعاجزين عن الحصول ليس على الزبد بل على الخبز ولا تتحدث عن مياه الشرب . هؤلاء المحاصرون ليسوا أعضاء لا فى كتائب شهداء الأقصى ولا فى كتائب عز الدين القسام .. إنهم شعب يتضورون جوعا ليس لأسباب طبيعية بل بسببنا نحن .. وبأيدى جنودنا الشجعان .

● **لا تتحدى الجيش :**

وخلال السنوات التى أمضيتها فى الأراضى لم يكن الرفض خيارا أفكر فيه . فقد كان مستحيلا فى إطار التعليم الذى كنت اتلقاه فى المستوطنة أو فى المنزل .. كانت القواعد المرعية تقول إن بإمكانك أن تشكو ولكن أفعل ما تؤمر ولا تتحدى الجيش . وفى جماعات أخرى مثل نيتيفوت شالوم وهى حركة تدعو للصهيونية واليهودية والسلام كان من الممكن أن تتحدث عن الفظائع التى تحدث عند نقاط التفتيش ولكن رفض الخدمة لم يكن خيارا مطروحا . أصبح الرفض أمرا راسخا لدى عندما بدأت الدراسات العليا فى جامعة تل أبيب واتسع أفقى .. وبعد أن أطلعت على كتابات أخرى وقابلت أناسا آخرين وتعرفت على مجتمعات أخرى . بعد أن تحررت من المفهوم الصهيونى الدينى الشامل للمجتمع . وعلى عكس الرافضين الآخرين ، تطلب التحول وقتا أطول بالنسبة لى بوصفى واحدا من أشد المؤمنين بالحركة الصهيونية الدينية .

كما أن الرفض هو التزام أخلاقى نابع من حقوق المواطنة

كإنسان . وكل مَنْ ساهم فى التميـيز العنصرى فى جنوب إفريقيا أو فى الإبادة الجماعية فى كوسـوفو خالف واجبه الأساسى ليس كـإنسان بل وكـمواطن . وهـذا هو ردى على الجدل الدائر حـول مدى شرعية ما نقوم به فى حركة الضباط الرافضين.

● أساطير يهودية :

وبالنسبـة لما يردده البعض عن حقـنا المطلق فى الأرض ، فأنا لا أتحدث ولا أفكر بمنطق الحقوق المطلقة . هناك ذكريات وروايات تاريخية وأساطير. أنا لا أقلل من قـوة الأساطير اليهودية عن هذا البلد . فقد نشأت عليها . ولكن مَـنْ يحترم أساطيره عليه ألا ينكر أساطير الآخرين .

وإذا كـان اليمـين المتطرف يطالب بكامل أرض فلسطين ، فـإن اليـسـار المتطرف يتـحـدث عن مـسـؤولية الـيهـود عن مـأسـاة الفلسطينيين التى تعود إلى عام ١٩٤٨ عندما طرد نحو ٧٠٠ ألف فلسطيني من أرضـهم وأصبحوا لاجئين . وفى الحقيقة ليس هناك فرق كبيـر بين مستوطنة ارييل المقامـة على الأراضـى المحتلة عام ١٩٦٧ وكفـار سابا المقامة داخـل الخط الأخطر. وليس هناك فرق كبـير بيـن جامعـة تل أبيب التى بنيت على إنقـاض قرية الشـيخ مؤنس التى دمـرت عام ١٩٤٨ ومستوطنة كـفار داروم فى قطاع غـزة .. ولكن لا بد من البحث عن حـل وسط .. فاليـوم نحن نعلم عـما عـاناه الفلسطينيـون عند قيـام دولة إسـرائيل ومن المهم أن نتذكـر ذلك جيدا . ولكن من المهـم بدرجة مسـاوية أيضا ألا نلقى باللوم كله على ما يسمى بالصهيونية . ففى عام ١٩٤٨ كان هناك كفـاح من أجل وطن ولكن فى ١٩٦٧ كانت هنـاك حرب فى وطن

مجاور يخص شعبا آخر وهذا الفرق لا بد أن يكون واضحا . ومما يوضح هذا الفرق أن القانون الإسرائيلي لايسرى فقط إلا على مواطني دولة إسرائيل داخل الخط الأخضر بمن فى ذلك العرب بغض النظر عن مدى المساواة بينهم وبين اليهود على هذه الأرض. ومهما كانت مظاهر عدم المساواة بين هؤلاء ، فإن كل مَنْ هم داخل الخط الآخر مواطنون إسرائيليون ولو بشكل رسمي . أما فى الأراضي الفلسطينية فليس هناك قانون إسرائيلي وليست هناك حقوق مواطنة وهذا يؤكد أننا موجودون هناك لبعض الوقت كقوة احتلال . وهذا الاحتلال لا بد أن ينتهى وعندما ينتهى لا بد أن تقام الاحتفالات فى إسرائيل . أدرك أن ذلك لن يحل كل مشكلاتنا ولكن على الأقل سيمثل بداية الحل .

● سلام نتنياهو :

وقد يسألنى البعض عما إذا كنت أعتقد فى إمكانية تحقيق نوع من التعايش السلمى مع الفلسطينيين وأنا أجيب بالتأكيد نستطيع أن نفعل ذلك . ولما لا .. وقد ورد فى التلمود "أنا خلق الله وهو خلق الله ." ولكن مهمة التعايش السلمى يجب ألا تجرفنا بعيدا عن الهدف الأصلى وهو إنهاء الاحتلال .. أما الحديث عن المصالحة والسلام المثالى فلا يخدم إلا أهداف اليمين فى محاولتهم الإبقاء على الوضع الحالى وتجنب التوصل إلى حل وسط حقيقى وواقعى . لا بد أن نكون واقعيين وصادقين مع أنفسنا فقبل أيام كتبت ردا على مثل هذه الدعاوى التى تتمسح بالسلام وقلت "لاتتحدثوا عن السلام .. فحتى نتنياهو تحدث عن السلام .. تحدثوا عن إنهاء الاحتلال أولا" . إننى أؤمن بالفلسفة التى تقول إنك لكى تحدد الشر وتحاربه يجب ألا ترسم صورة مثالية للعالم

مثلما فعل أفلاطون ومن تبعه . يمكن أن تشير بيدك وتقول "هذا شر" دون الاستناد إلى رؤية مثالية كنقطة مرجعية. عالم المثل أمر مخيف ومكان خطر جدا . انظر إلى جمهورية أفلاطون .. هؤلاء الذين لا يتسقون مع عالم المثل يطردون من الجمهورية . انظر إلى الرايخ الثالث أى الدولة النازية فقد كانت تقوم أيضا على نظام شبيه بعالم المثل. أنا لا أعرف ما ستؤول إليه الأوضاع فى النهاية فى ظل هذا الوضع ولكن ما يهمنى فعلا هو أن نحارب ضد ما يجرى الآن وهذا يكفى بالنسبة لى.

● احتيال أم غباء ؟

الطريق إلى السلام لم يبدأ بعد .. والبناء فى المستوطنات لم يتوقف . بل على العكس منذ توقيع اتفاق أوسلو البناء فى المستوطنات تضاعف .. الفلسطينيون لم يجدوا أبدا شريكا فى عملية السلام . فالحكومة التى تتحدث عن السلام وتواصل فى الوقت نفسه بناء المستوطنات هى إما تمارس نوعا من النصب والاحتيال أو أنها تتظاهر بالغباء . عندما ينتهى الاحتلال ويتم إخلاء المستوطنات وتقام دولة فلسطينية سينتقل التركيز على القضايا الداخلية الملحة .. وعلى سبيل المثال من السخف أن نتحدث عن المساواة فى المجتمع الإسرائيلى .. فقط انظر إلى مخصصات الميزانية لترى مدى التمييز ضد المجتمعات العربية فى التعليم والخدمات الصحية والبنية الأساسية . وفى نفس الوقت لا أود أن يضعنى البعض بين مَنْ يتعجلون التخلى عن الدولة القومية . كما أننى لا أعتزم أن أصب جام غضبى على الآباء الأولين للصهيونية .. ولا بد أن نتذكر الظروف التى عملوا فيها . لا أعتزم تجاهل الثمن أو المظالم ولكنى أعتقد أنهم أقاموا شيئا حقيقيا هنا ويجب أن نكرس أرواحنا للحفاظ عليه .

دروس القرن العشرين توضح لنا أننا متجهون إلى مزيد من المشاعر القومية . فقد تكونت دول قومية أكثر مما تفكك منها .. فقد ظهرت دول أوروبا الشرقية كدول قومية وخرجت من عباءة الاتحاد السوفيتي السابق كذلك انفرط عقد هذا الكيان ونشأت على أنقاضه دول قومية كثيرة في القوقاز .

• ملامح العنصرية :

نحن لم نخترع مشاعر القومية والوطنية وخاصة في أوقات الأزمات .. انظر إلى ما حدث في الولايات المتحدة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . إنه أمر مرعب أن ترى إلى أى مدى يكون سهلا إثارة مشاعر الخوف المرضى من الأجانب والكراهية العمياء للآخرين . وهناك ، مثلما هو الأمر هنا ، يمكن أن تلاحظ ملامح العنصرية . ولذلك ، فإن الخطر الحقيقي على دولة إسرائيل هو الاحتلال وهذا يفسر لماذا يكون الرفض هو الموقف الصهيوني الصحيح الذى يجب أن أعتنقه الآن . عندما يصبح الرفض عملا جماهيريا ولا يظل عملا فرديا ، فإنه سيصبح رأيا سياسيا واجتماعيا . وللمرة الأولى منذ ٣٥ عاما يكون للجندى أو الضابط خياران إما أن يذهب للخدمة في الأراضى الفلسطينية أو يرفض . ومَنْ يذهب لا يفعل ذلك بشكل آلي .. لقد اختار هذا الطريق . وهكذا يصبح الرفض طريقا ممهدا .

• تدمير ذاتي :

والرفض يشبه أيضا زرع فيروس فى النظام .. إن لدينا آلة مبرمجة على التدمير الذاتى ومهمتها كرافضين هى قطع الدائرة الكهربائية عنها . وحكومتنا التى تغلب عليها المشاعر القومية لا تسمح بوجود برلمان يمكن أن يناقش هذه المسألة كما أن نظامنا

القضائى لا يستطيع أن يوقف تيار الاحتلال . ولا يوجد مَنْ يستطيع أن يوقف هذا التيار الآن .. لقد أفلتت المكابح (الفرامل) وانطلقت العربة المجنونة على طريق الخطر ولا ندرى أين يمكننا وقف هذا الجنون .. ولكننا سنحاول .

نعلم أن التاريخ حافل بإطلاق النار على الرسل وقادة التنوير.. ولكن لسنا مسؤولين عن إضعاف المجتمع .. إننا نبلغ رسالة فقط إننا لا نردد نفس الرسالة القديمة عن مدى صحة رسالتنا .. الرسل يأتون عادة من بين أفراد المجتمع ولكن ما أن يطلقون كلمة عما يحدث يتم نبذهم وربما نفيهم دون محاكمة . هذا ما حدث لنا. وقد يسألنى أحد .. هل تحمل رسالة للمستقبل ؟ وأقول إن الأساس هو اتباع نهج العلمانية عندما نستقى الأفكار الميتافيزيقية من أساطيرنا القديمة . لا يمكن أن نعيش دون أساطير ولكن يمكن أن نتعامل معها بقدر من التهكم . ماذا يعنى حائط المبكى بالنسبة لى ؟ إنه يعنى كل شىء .. ولكن يمكن النظر إليه بقدر من العقلانية . وبمجرد أن تتخلص من الأحكام المطلقة والأفكار الميتافيزيقية والعالم الأسطورى الذى يقول إن هذه الأرض ملكنا نحن فقط لأن إبراهيم كان هنا يمكنك أن تحافظ على مشاعر الوطنية دون أن تنكر على الآخرين حقوقهم . إن اللغة النابعة من الأفكار الميتافيزيقية هى الأخطر على الإطلاق . والأمر الأكثر خطورة أن هذه اللغة يتحدث بها الجميع سواء من الأحزاب اليمينية أو حتى حزب العمال .

• المسيح لن يعود :

لقد قال البروفيسور بيشع ليبوفيتز أن أحد المعتقدات الأساسية لليهودية هى أن المسيح لن يعود أبدا . وطالما أنت

تنتظره يوميا ، فإنه لن يأتى . وفى تفسيرى فإن هذا يعنى بالتالى أن الحاضر هو الحاضر والمستقبل سيظل هو المستقبل والأحكام المطلقة ستظل أمرا يخص المستقبل الذى لن يكون حاضرا أبدا . الأحكام المطلقة هى أخطر شىء لأنها تحجب شعاع النور الذى يبدد الظلام . وهذا يفسر سبب إصرارى على عدم الخلط بين الدين والسياسة . عندما تفكر أن أعداءك هم أعداء الله ، فإن مشاعرك الأخلاقية تختفى . وعندما تتحدث بلغة الحق المطلق ستتوقف عن رؤية الناس أمامك باعتبارهم ينتمون إلى بنى الإنسان .. وهذه هى جذور المأساة التى نعيشها . إن القول "بأن الله أختارنا من بين كل أمم الأرض لخدمته" قول خاطىء . لا بد أن نعالج الإحساس بالتفوق العنصرى الذى أصبح شعورا طاغيا بيننا . لا بد أن نعرف أن هذه العبارة وردت فى سياق مختلف تماما عن مشاعر القومية الدينية التى نعيشها حاليا . إن الشعور بأننا متفوقون بدأ فى وقت كنا نعانى فيه الضعف تحت الحكم الرومانى ولهذا كان الهدف منه مواساة النفس والتعويض عما يلاقيه اليهود آنذاك من معاناة . وفى هذه الحالة لم يكن الإحساس بالعظمة ينطوى على خطر أما الآن فقد تغير الواقع وأصبح الضعيف قويا ولكنه ظل يردد نفس الكلمات ويعيش على ذات الأساطير القديمة .. وهنا تكمن المأساة الحقيقية .

الفصل التاسع



الجندى
ديفيد شاشام هاريسون

- نقيم مجتمعاً عنصرياً يغذيه الخوف وتحميه جدران الكراهية
- المعاناة ليست حكراً على اليهود ولا تبرر قمع شعب آخر
- ليس صحيحاً أن العرب هم الذين هاجمونا فى كل الحروب
- مأساتنا فى اعتمادنا على أسطورة حقنا المطلق فى هذه الأرض
- « إسرائيل الكبرى » حلم سيىء ليهود متعطشين لخوض حروب دائمة
- القتل الجماعى للفلسطينيين بدأ قبل التفجيرات الانتحارية بوقت طويل

إذا كانت الشهادات التى قدمها عدد من ضباط الجيش الإسرائيلى عن أسباب رفضهم الخدمة فى الأراضى المحتلة قد تميزت بالمواجهة بين صحفية وضابط أو جندى سابق ؛ فإن هذه المواجهة تتميز بطابع فريد وهى أنها مواجهة بين الأم (مؤلفة الكتاب) والابن وهو أحد الرافضين الذين قرروا الاستماع لصوت الضمير وعدم المشاركة فى هذه الجريمة التاريخية .. تبدأ هذه المواجهة الصادقة بخطاب كتبه الابن ديفيد وهو فى السجن الذى أودع فيه بعد رفضه الخدمة فى الأراضى الفلسطينية .. وهذا هو نص الخطاب ..

عندما كنت أجلس فى السجن العسكرى رقم ٤ كنت أقرأ تقارير مروعة تنشر يومياً فى الصحف . لم أكن أرى صوراً أو أسمع أصواتاً .. كل ما كنت أراه أسلاكاً شائكة . إن العنف يولد العنف والقتل يؤدى إلى مزيد من القتل والانتقام يفجر جولات وجولات من الانتقام .. والسؤال : لماذا نتسبب فى كل هذه المعاناة لغيرنا ؟ لماذا نتسبب فى مزيد من الألم للآخرين ولأنفسنا ؟ ماذا يكمن وراء إحساسنا بالفخر ؟ ولماذا يعتبر القتل أمراً له مكانة عالية فى أعيننا ؟

أنا جندى فى الجيش الإسرائيلى سجنت لرفضى المشاركة فى

قمع شعب رافض للاحتلال . موقفي نبع من إحساسي بأنه لا يمكن أن تكون يهودياً ابن لاجيء وتقمع لاجئين . إنني يهودي وأخشى الله ولذلك فإني أرى أني أحرم إناساً من الحرية عندما أخدم في الأراضي المحتلة . نعم لقد سجنت ولكني أشعر بحرية أكبر بكثير من إسرائيليين أعرفهم جيداً .

إنني اهتم بالإنسان كإنسان .. أهتم بهؤلاء الذين يحرمون من كل ما أتمتع به مثل الحق في الحياة والطعام والملبس والصحة الجيدة والترفيه والحلم بالنجاح وركوب سيارة . اهتم بهؤلاء الناس الذين يهانون يومياً ويحرمون من حق العمل ويسجنون داخل مدنهم وقراهم وأشعر بالقلق على مَنْ تهدمت بيوتهم وخربت بساتينهم .

أعرف أن مشاعر الكراهية المروعة تجاهي مبررة . وهذه الكراهية تقود إلى أفعال مروعة مثل هؤلاء الأشخاص الذين يفجرون أنفسهم . ولكن نحن الذين نخلق تلك الظروف التي تصنع مثل هذه الوحوش الضارية . إن خوفي يختلف عن خوف كثير من الإسرائيليين .. أدعو إلى القيام بحركة تصحيحية وليس إلى مزيد من الدمار . لقد سجنت وهأنا اليوم حر ولكن الألم يعتصرني .. يحدوني أمل أن يؤدي سجني إضافة إلى سجن آخرين مثلي إلى التفكير بعمق في مأساة الفلسطينيين .. ثم ، في النهاية ، التفكير في مأساتنا نحن .. لم يجعلني سجني أتحلل من مسئولياتي . كان سجني هو الطريق الوحيد للمشاركة بشكل إيجابي في المجتمع الإسرائيلي اليوم . وحتى إذا لم أكن أخدم في الجيش، فإنني كنت سأضطلع بهذه المسئولية .. إنني لست ضحية ..

بل على العكس إنها مسئوليتى أن أرفض المشاركة فى عمليات القمع .

أنا جندى وأريد خدمة بلادى .. وأود أن ننظر فى أعين هؤلاء الذين نقمعهم ونحاول فهمهم .. إن مخاوفنا ستتبخر إذا حققنا المساواة بين الشعوب والأفراد . سوف نظل نعيش فى خوف طالما بقينا ننكر على الآخرين حقوقهم الأساسية .

إن انتصار القوة ليس انتصاراً على الإطلاق . كما أنه لا يبرر معاناة الآخرين ولابد أن نصحح مسارنا بأنفسنا وساعتها سنكون بعقيدتنا أقوى من الدبابات . يحدونى أمل أن ينظر الآخرون إلى الواقع حولهم ويساهمون فى التغيير ..

ديفيد شاشام هاريسون ..

يوليو ٢٠٠١

كانت هذه هى نص الرسالة التى كتبها الجندى ديفيد بعد سجنه بسبب رفضه الخدمة فى الأراضى المحتلة . فماذا تقول والدته رونيت شاشام (مؤلفة الكتاب) ؟

تقول رونيت : إن ديفيد (١٩ عاماً) شاب يتمتع بحس مرهف فهو يعزف الموسيقى ويدرس الموسيقى فى الأكاديمية الموسيقية بالقدس بل إنه يؤلف الموسيقى ويلحن الكثير من الأغنيات بنفسه.. ومنذ يناير وحتى أغسطس عام ٢٠٠١ خدم ديفيد فى الجيش جندياً نظامياً وفى هذا الوقت أعلن لقادته أنه سيخدم فقط داخل الخط الأخضر للدفاع عن إسرائيل داخل حدودها ولن يقاتل فى الأراضى المحتلة . ولكن بعد أربعة أشهر من التدريب أرسلوه إلى الأراضى المحتلة ضمن فريق فنى لتقديم الخدمات لوحدة قتالية .

ولكنه رفض فسجن ٢٨ يوماً .

عندما دخل ابنى ديفيد الجيش لـم يكن لدى فكرة عن كيفية رد فعلـه بالنسبـة لأوامر الخدمـة فى الأراضى المحتـلة .. فقد اتـخذ قراره بنفـسه وبشكل مستـقل وتحمل مسئـولية ذلك . ورغم أننا نعيش فـى بيت سياسى الـطابع وغالباً مـا تدور بيننا مناقـشات ايديولوجية إلا أننى لم أتوقع الإجابات التى رد بها على تساؤلاتى فى هذه المقابلة .

وبعد سجنه ٢٨ يومـاً لرفضه الخدمة تم تسـريحه من الجيش بناء على نصيحـة من الضباط ثم تطوع للعمل فى الخدمـة العامة التى كانت حـتى عهـد قريب مقـصورة على الفتـيات . وبالنسـبة لديفيد وباقى زملائه من الرافضين، فإن الخدمة فى الجيش شىء والخـدمـة فى الأراضى المحـتلة شىء آخـر .. هؤلاء الرافـضـون يعـتقدون أنهـم يخدمون الـوطن من خلال رفـضـهم الخدمـة فى الأراضى المحتلة .

وفى محاولة لتفسير قراره .. كانت هذه المواجهة بين الابن ديفيد ووالدته رونيت شاشام .

● الابن

لأننى من هذا المجتمع وبداخلى ضمير يقظ فإنى أصرخ فى كل من حـولى .. فى أسرتى وأصـدقـائى بأن ينظروا إلى الواقع وأن يلتـفتـوا بقليل من الانتـباه . إن وضـعنا الحالى يشـبه التـفرقـة العنصرية التى كـانت سائدة فى جنوب إفريقيـا قبل سنوات . إن دولة إسرائيل تجبر مجموعة ضخـمة من البشر على العيش عيشة يرفـضهـا أى يهودى فى أى مكان فـى العالم . مـعظم أصدقـائى

يتحدثون عن الدفاع عن أنفسنا فى مواجهة العرب حتى لا يلقونا فى البحر . وأنا أنظر إلى هذا الأمر من زاوية أخرى .. إننى أرى أعمال الدفاع عن النفس تبدأ وتنتهى من خلال العدل والمساواة والأخلاق . إن اليهود يرون أنفسهم دائماً فى صورة الضحايا . إنهم يرون العرب كاذبين ومعتدين . أنظر إلى الشعبين من وجهة نظر مختلفة . أرى العرب يعيشون فى ظل احتلال قمعى وأنا أفهم لماذا يرى أصدقائى أنفسهم ضحايا بعد كل تفجير انتحارى . ولكن طبقاً للفكرة السائدة المبنية على أفكار مسبقة، فإن اليهود يعانون بشكل وكأنهم رمز المعاناة فى التاريخ .. على الأقل فى التاريخ الحديث . ولكن احتكار المعاناة يعنى أن الآخرين لا يعانون. ويعنى أيضاً أن المقاومة الفلسطينية غير مشروعة . إننى لا أستطيع أن أفهم أن معاناة اليهود على مر العصور يمكن أن تبرر الاحتلال الذى ينكر على الفلسطينيين جميع حقوقهم . إذا كان لدينا ذرة من إنسانية كنا سننظر إلى أنفسنا فى المرآة مرة واحدة ونقول « إذا كان شعبنا كافح من أجل حريته وبكل ثمن للحفاظ على هويته لماذا نواصل العدوان الآن على شعب آخر ؟»

إننى أرى رفض الخدمة فى الأراضى المحتلة يماثل مسئوليتى للدعوة للمساواة .. إننا كإسرائيليين نردد دائماً أن العرب هاجمونا فى أعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ومن ثم فلابد أن نتوقع منهم هجوماً جديداً . ولكن لم يتوقف أحد ليسأل إن كان العرب حقاً هم الذين هاجمونا فى كل هذه الحروب !!!

● **الأم**

هل يعنى كلامك أنك تريد أن تتخلى إسرائيل عن تفوقها وقوتها لحساب العرب ؟

● **الابن**

إن مسئولية القوى أن يهتم بالضعيف . إنها مسئولية أخلاقية . ويمعنى آخر الاهتمام بالضعيف لا يعنى التخلى عن القوة . مثل هذه المساواة والعدالة تمثل شروطاً مسبقة للأمن .. إننى لا أعتقد فى أى شىء لا يضمن المساواة . هناك مَنْ لا يشغل باله كثيراً بمثل هذه الأمور ويقولون« لماذا نتعب أنفسنا بمسألة الفلسطينيين؟ لدينا كثيراً من الفقراء فى وطننا هم أولى برعايتنا واهتمامنا .. وأنا أقول إنك لا تستطيع أن تفرق بين الحالتين فغزة مثلاً يطحنها الفقر بسبب الاحتلال ولأن هذا الاحتلال يعرقل سبل نمو القطاع وتطويره . والأموال المخصصة لتمويل احتلال غزة جاءت على حساب مخصصات المدن والبلدات الإسرائيلية ، ولهذا فإن فقر هذه المدن والبلدات الإسرائيلية له علاقة بما يعانيه قطاع غزة من فقر . إن معركتنا ليست من أجل الوجود كما يردد الجنرالات ورجال السياسة.. إن معركتنا هى معركة فكرية فى الأساس . إنها ليست مسألة وجود بل تتعلق بأسطورة حقنا المطلق فى هذه الأرض . الاحتلال ليس ضرورة . إنه تطبيق عملى لاعتقاد زائف بملكيتنا لتلك الأرض الممتدة من نهر الأردن إلى البحر المتوسط .

لقد وصف رجل الدين اليهودى البارز ييشع ياهو ليبوفيتز «إسرائيل الكبرى » بأنها « حلم سيىء لأناس مهتمين بخوض حروب مع العرب من أجل الأرض » وقال ليبوفيتز : إن السبيل الوحيد أمام بقاء إسرائيل هو إما أن تعود إلى حدود ١٩٦٧ أو استعباد « البقية الباقية من أصحاب هذه الأرض الأصليين » وإذا

لم تعد إسرائيل إلى حدود ١٩٦٧ « فإننا سننحدر من مرتبة الإنسانية إلى البربرية » .

• الأم

أنت تعيش فى مكان يتطلب منك أن تعرف نفسك من خلال جنسيتك حتى لو كنت لا تريد ذلك .. فهل ترى جنسيتك عنصراً محورياً فى هويتك ؟

• الابن

لا أنكر أهمية جنسيتى . إننى أرى نفسى يهودياً . وأنا أتحمل أيضاً المسئولية عن أفعالى . إننى أستطيع أن أحارب الدعاوى الوطنية إذا كانت ستجلب الشرور وأستطيع فى نفس الوقت أن أدفع عنها وأقول « إننى أحافظ على التقاليد .. إننى يهودى ولهذا يجب أن أحترم أولئك الذين تختلف هوياتهم عنى » إذا كان الشخص يشعر بالارتياح تجاه نفسه فإنه لا يجد أى مشكلة فى التعامل مع الآخرين .. إننى أريد أن أعرف كل الناس من جميع الجنسيات . إذا كان علينا أن نتعلم من الآخرين . يمكننا أن نتعلم من العيش فى الشرق الأوسط ومن المسلمين حولنا . ولكن عندما تكون دائماً فى حاجة للدفاع عن هويتك، فإن ذلك يكون مبرراً للحرب . الوطنية الإسرائيلية تعنى فى الواقع افتراض وجود عدو فى المقابل . فالوطنية أو الهوية اليهودية تحول اليهودى الروسى واليهودى الأثيوبى والألمانى اليهودى واليهودى الشرق أوسطى إلى يهود يحملون هوية واحدة تقوم على أساس أنهم « غير عرب».

● **الأم**

لنتحدث عن الخوف وهو جانب مهم من جوانب حياتنا .. فالخوف هو الذى يشكل إلى حد كبير وعينا سواء فى الأوقات العصيبة مثل حدوث تفجيرات انتحارية أو فى الأوقات الهادئة .. بمعنى أنه يوضح معنى وجودنا .. ويجعلنا دائماً نخشى أن يقوم العرب بمهاجمتنا .. وحتى إذا كان هذا الخوف مجرد تصور، فإن آثاره لا يمكن إنكارها .

● **الابن**

الخوف هو واحد من أكبر العقبات أمامنا . نحن فعلاً خائفون وليس أمامنا الكثير الذى يمكن أن نفعله . لقد بنينا مجتمعنا على أسس من الخوف وصنعنا حوله السياج والجدران العازلة ووضعنا الدبابات على حواجز التفتيش . هذه الآليات شوهت صورتنا.. إننا منشغلون دائماً بالدفاع عن أنفسنا ضد العدو الفلسطينى الذى أقمنا جداراً وسجناه خلفه . فى الأساطير حكاية تقول عندما تبنى جداراً بينك وبين عدوك فأنت تواصل تعلية الجدار حتى تحجبه عنك وهنا لا ترى عدوك بل ترى خوفك منه . هذا الخوف هو الذى أعمى بصائرنا وملأنا بالكراهية لدرجة أننا الآن لا نستطيع حتى رؤية هذا الذى يواجهنا . لابد أن نبحث عن مصادر خوفنا ونعالجها بدلاً من أن نتجاهلها .

وربما أنا أيضاً مصاب بالعمى .. بمعنى لا أرى أشياء معينة فكل إنسان له نقاط سوداء لا يراها والذى يرى كل شيء هو الله وحده وأنا لا أرى كل شيء . إن أهم شيء عندى هو ما ورد فى الكتاب المقدس « لابد أن تحب جارك كحبك لنفسك » ولذلك فما أن

ترى الشخص كـإنسان فعلاً مســاو لك فى كل شـىء ، فإنك تزيل ما على عينيك من غشاوة .

● **الأم**

السؤال هو : مـاذا تختار أن تراه ومـاذا تخـتـار أن تغمض عنه عينيك ؟

● **الابن**

الجندى الذى يطلق النار من دبابة على طفل هو جندى أعمى .. الأمر هنا يشبه قيام فرقة إعدام بإطلاق الرصاص على فرد واحد. فكل جندى من هذه الفـرقـة لا يعلم أن فى بندقـيـته الـرصاصـة القاتلـة . الجيش يغذى هذا الإحـسـاس بالعـمى والمجتـمع أيضاً . فالمجتمع يقول للجندى « لا تنظر وراءك كان عليك أن تفعلها والآن اذهب إلى الشاطىء وعش حياتك .. أنت بطل ؟!!

● **الأم**

هل تقصد أنك ضـحية الظروف ؟

● **الابن**

أنا لست ضـحـيـة .. أنا أتبع ضـمـيرى . نعم .. لقد عـوقبت على ذلك .. ولكن هؤلاء الذين يقاتلون هذه الحرب التى يـفترض أنها لا يمكن تجنبهـا هم ضحاياها . إنهم سيـضطرون ذات يوم للوقوف أمام أطفالهم ليقولون لهم « ماذا يمكن أن أقول .. كنت أعتقد أننى لا أملك خياراً آخر » . سيكونون ضـحايا شعورهم بالذنب ساعتها. ولكن الأمر الأكثر مأساوية هو أن الفلسطينيـين يصبحون ضـحايا

مرتين .. المرة الأولى من خلال الاحتلال والمرة الثانية بما تركه هذا الاحتلال من إحساس متزايد باليأس ومما قدموه من تضحيات أغلاها فلذات أكبادهم الذين ضحوا بأرواحهم فى هذا الكفاح .

● الأم

صحيح أن الفلسطينيين خسروا كثيراً وأن مشاعر اليأس التى لديهم يصعب قياسها ولكن هذا يطغى على أسئلة أخرى أهمها .. كيف يمكن مداواة هذه الجراح وما نوع المجتمع الذى يمكن أن يبنى على ذلك ؟

● الابن

ظاهرة الانتحاريين مأساة ولكن علينا أن نتذكر أن القتل الجماعى ضد الفلسطينيين بدأ قبل التفجيرات الانتحارية بوقت طويل .

● الأم

سياساتنا الفاسدة والعدائية تؤثر على صحة مجتمعنا . وبالمثل يمكن أن يقيم الفلسطينيون مجتمعاً على أسس الانتقام والشهادة . فكيف يمكن الحكم عليه ؟

● الابن

ربما تخف الآلام مع مرور الأيام .. ولنترك ذلك للمستقبل .

● الأم

دعنا نتحدث عن رفضك بصفة عامة هل يرجع إلى أسباب

سياسـية تمتد خلال السنوات المـاضية ، فالرفض كـان إلى حد ما تعريف لك وقادك إلى التفكير بصورة سياسية .

● الابن

أنا مشـغول بالحب وليس بالسيـاسة . عندما واجـهت الأوامر التى اعتبرتهـا غير أخلاقية فهـمت أنه لا توجد هنا ولا هناك مدن فاضلة . وعندمـا طلب منى أن أذهب إلى الأراضى المحتلة لأشـهر سـلاحى فى وجه طفـل فلسطينى فى وجـه شقـيقـى الفلسطينى تمزقت عقـيدتى التى كـانت تقول إن الإنسانيـة دائماً تنتـصر فى وجه الضرر وتحـتم علىّ أن أواجه الواقع ، واضطررت إلى العمل بالتوافق مع مبادئى التى أقتنع بها ، وأقول بلغة العمل « ابتعد عن الشيطان وافعل الأعمال الجيدة »

● الأم

ألم يكن الانضـمام إلى الجيش قـرارك ؟ أنا لم أطلب منك ذلك الأمر من قبل ولكن ماذا يعنى الجيش بالنسبة لك ؟

● الابن

الجـيش يدافع عن الحدود ، إنـه يشبـه مملكة الحـيوان يقـسم الرجال نفـسهم إلى مـجموعـات ، تحدد كل مجـموعـة قطعة من الأرض وتتولى حراستهـا . وهذا هو هدف الجيش كما أرى . ذلك ليس جيـداً ولا سيئاً ولكن عندمـا يصبح الجيش القـوة المسيطرة على حياتنا يتحول إلى خطر .

يدافع الجيش الإسرائيلى عن الهوية يخفى خلافاتنا ويوحدها ، كما يمحـو أعداداً ضخمة من ذكرياتنا ويشكل مجمـوعة موحدة .

وتأتى بطاقة دخولك إلى المجتمع الإسـرائيلى عبر الجيش ويتحول الروس والأثيوبيـون إلى إسرائيليـين عبر الانخـراط فى الجيش . كـمـا أن الجيـش يعكس هرم السلطة فى المجـتـمع الإسـرائيلى ، فـمعـظم الوحدات الـتى ليست مـن الصفـوة تتكون من الـيهـود الشرقـيين وهم أشـخاص يضطرون إلى إعداد السـاحة للضـباط الأفضل والأكـثر شجـاعة وشهـرة لدى إسرائيل .. ومن الواضح أنهم اليسـاريون الأشكينـاز الذين يحـملون مـشـعل الأسطورة الصهيونية . إنه الشخص الذى يعـتقد أن المقاتل الشرقى همجى . وكأن الحـقيقة أن اليـهودى الشرق أوسطى يجب أن يظهـر كرهه للعرب . وإلا سـيجـد نفسه مـرتبكاً معـهم . فقط عندمـا يتخلص الشرقيون من عروبتهم يكافئهم المجتمع الإسرائيلى بمنزلة رفيعة. وفى نفس الوقت يحـصـد يهود الاشكـيناز فوائد بقـاء منزلتـهم الرفيعة . فهم يبنون صورة مضيـئة لأنفسهم ولكن موقفهم تجاه العرب ليس مـختلفاً عن مـوقف رفاقهم فى الجـيش . حتى لو أن اليهود العرب مسموح لهم باعتناق هويته بصفة كلية فإننا سنبقى مجتمـعاً عنصرياً . لقد خدمت فى أحـد أدنى الوحدات فى الجيش وأخبرت قائد اللواء الذى كان يضمنى أننى لن أكون جندياً محارباً فى الأراضى المحتلة لأن الفلسطينيين لهم الحق وعليـهم المسئولية فى الدفاع عن أنفسهم طبقـاً لمعاهدة جنيف . وقلت إن المستوطنات غير شـرعية وأننى لن أخدم فى الأراضى المحـتلة لأنه من المحرم احتلال منـاطق سكنية . فقال القـائد لى « حسنا ، لن نرسلك إلى الأراضى ولن تصبح مـقاتلاً » وأرسلنى إلى وحدة تتـولى تقديم خدمات للمقاتلين فى الأراضى .

● **الأم**

دعنا نعـود إلى رفـضك . أنا أتذكـر اللحـظة التى أدت بك إلى الرفض .

● **الابن**

كنا نشـاهد عبـر التليـفزيون قـوات سلاح الجـو الإسرائيليـة تقصف غزة باستخدام طائرات أف ١٦ فور بدء انتفاضة الأقصى ورأيت الفلسطينيين يتظاهرون فى الشوارع مطالبـين بحقـوقهم الأساسيـة. عندما رأيت استخـدام القوة بشكل غير مـبرر ضدهم وكان اختيارى قد تبلور .

أصبت بـالمرض بعد مـشاهدة عمـليات تفـجير المنـازل لإظهار قوتنا . لقد عاقبوا الجميع على أعمال ارتكبها أفراد .

● **الأم**

هل تشعر بأنك كبرت خلال فترة السـجن ؟؟

● **الابن**

لقد كان موقع تحـرر بالنسبة لى ، فالتحرك ضـد الضمير هو السجن الفعلى ومنذ رفضت العمل ضد ضميرى وأنا أشعر بإننى رجل حر حـتى لو كنت فى السـجن . أشعـر بعدم الراحة عـندما لا أكون فعالاً وعندما أشعـر بأن الحياة تمر بجانبى . ولكن البقاء فى السجن جعلنى أشعر بأننى فعال .

تعلمت أن الحـرية لا تعـتـمد علـى المحيطين بى مـثل الأسـرة والأصـدقاء ولا حـتى الموسـيقى ولكن علىّ أنا . والسـؤال الذى واجهته هو كيف أحرر روحى ؟ فى البداية وجدت ذلك صعباً فهم

يصرخون لك وأنت تقف انتباه وتؤدى التدريبات . فى البداية جعلنى ذلك غاضباً من النظام . كنت أنام بينما الآلام تقصم ظهرى من التدريبات اليومية . فى النهاية فهمت أنه ليس مهماً كم مرة يصرخون لى أصبحت قادراً على أن أبقى حراً وأقهر حالة الغضب التى كنت أعيشها . وبعد فترة قصيرة فهمت أنه لم يكن صعباً جداً أن أقف انتباه لساعات من أجل هدف . إذا خضع الإنسان ستتألم الروح .

● **الأم**

ذكرت أيضاً شيئاً عن السجن الذى عزز صوتك .

● **الابن**

فى السجن ، تمثل شيئاً أكبر منك وحدك ؛ تمثل الكفاح بصفة عامة ضد نظام كامل . تصبح رمزاً للنضال . إنها تجربة قوية . أنا أيضاً اكتشفت أنه عندما تضع نفسك فى خدمة هدف يصبح الذات غير مهم وعندما لا تنبع كلماتك من رغباتك الخاصة يكون صوتك واضحاً ويصل إلى المزيد من الناس .

● **الأم**

عندئذ كتبت خطابك ؟

● **الابن**

كتبت بشكل متواصل داخل السجن . أردت أن أكتب شيئاً صلباً ولكنى لم أستطع . احتفظت بالأوراق التى كنت أمزقها ، وفى يوم بعد أن عدت من عمل شاق أمسكت صحيفة خلال الغداء ورأيت عنواناً ضخماً بلون الدم . كان ذلك بعد أيام من العناوين الكبرى الحمراء عن عمليات انتحارية واغتيالات وكان ردنا عبر

التفجيرات والاغتيالات . لم أستطع أن أنتظر المزيد وخرج الخطاب مني مثل الصرخة خلال خمس دقائق .

قرأت الخطاب بصوت عال على الرجال الذين كانوا معى فى السجن ، وقال بعضهم « أنت تستحق المزيد من الأعوام داخل السجن على قول ذلك » ولكن معظمهم أبدوا احترامهم لى على اتخاذ ذلك الموقف وقالوا هناك شخص اتبع ضميره وتصرف طبقاً لقيمه » .

● **الأم**

لدى سؤال يثير القلق : كيف يكون الرفض أكبر من تطهير الضمير .. عندما رفضت القتال ربما كنت تقول « لا أريد أن تتسخ يداى » هل كنت تعتقد أن الرفض يذهب أبعد من استرضاء ضميرك ؟

● **الابن**

نعم عزلني قرار الرفض عن المجتمع . اليوم يرانى المجتمع خائناً . غداً قد يعتبر المقاتلون أشخاصاً لا يمكن الاقتراب منهم . كتبت خطابى لأنى أردت أن يكون لى تأثير على الناس . وفكرت أيضاً فى اليوم الذى سأخبر فيه أبنائى بأننى لم أشارك فى الظلم .

● **الأم**

تقول إن القرار أجبرك على رؤية أشياء من منظور سياسى .

● **الابن**

قبل عام كنت شخصاً مختلفاً أما الآن فلست مبتهجاً . ربما أقل تفاؤلاً . ينتابنى القلق حول السنوات القليلة المقبلة متى سنؤكد

صحة الاختيارات التى فضلها مجتمعنا ومتى سيعود من أصيبوا بجروح أو أقعدوا إلى المشاركة فى فعاليات المجتمع .. وما نسميه الدرع الدفاعى لن يصمد كثيراً أمام آلامهم . هذا فى الواقع ما روعنى . ربما إذا ما انغمست فى نفس ميكانيكية الدفاع مع أصدقائى ، لم أكن لأشعر بالعذاب .

• الأم

فى الوقت الذى نشاهد فيه العمليات الانتحارية وتدمير المدن الفلسطينية ومخيمات اللاجئين تشعر بأننا نعيش فى دمار غير محدود لدرجة أنه من الصعب أن ترى المستقبل .

• الابن

نعم ولكن المستقبل هناك . الأفق لا تختفى . بعض الناس يعتبرون الأفق كنهاية ما يرون . أنا أرى تراجعاً متواصلاً . فالمجهول دائماً يرافقنا ولا يذهب بعيداً . وذلك يجعلنى متفائلاً كل يوم تكون الشمس جميلة فى شكل مختلف حتى رغم أنها توضح حالة الرعب التى نعانيها . وكأنها تقول « يذهب جيل ويأتى جيل لكن الأرض باقية إلى الأبد » وعندما أنظر فى الأفق أرى أنه لا يمكن أن يصل إليها أحد كما أنها فى صورة الكمال وذلك يملأنى بالأمل ..

رقم الإيداع
٢٠٠٣/١٨٩٢٠
الترقيم الدولى
977-08-1135-1